المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

# مظاهر تكريم البنت في صحيح البخاري دراسة بلاغية

# Manifestations of Honoring Girls in Sahih Al-Bukhari: A Rhetorical Study

بقلم الدكتورة

## نهى أحمد محمد عبد الرحمن

المدرس بقسم البلاغة والنقد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولي/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار سبتمبر ٢٠٢٥م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

# مظاهر تكريم البنت في صحيح البخاري دراسة بلاغية

**نهى أحمد محمد عبد الرحمن**

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني: Nohaabdelrahman.@azhar.edu.eg

**الملخص** :

عُنيت الدراسة باستجلاء الأسرار البلاغية، واللطائف البيانية لأجزاء البناء التركيبي مادة وبنية التي زخرت بها أحاديث المصطفى ﷺ التي ضمتها دفتي صحيح البخاري المنوطة بمعالجة قضية مجتمعية لا تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا متوغلة في براثن الجاهلية استجابة للعادات والأعراف، حيث تؤم الدراسة تسليط الضوء على نهج الهدي النبوي في تحديد الضوابط، ورسم الأطر التي تكفل إحاطة البنت بسياج من التكريم، وهي تنعم في كنف والدها، أو من يقوم مقامه كالأم، أو الأخ، أو الجد، أو ولي الأمر، فجاءت موسومة بـ "مظاهر تكريم البنت في صحيح البخاري دراسة بلاغية"، وقد اصطبغت تلك الضوابط بصبغة التعدد، ووسمت بميسم التنوع، إذ جاءت متمثلة في التكريم بحفظ حقها في الحياة، والإحسان إليها، وشمولها بالرحمة، والتلطف معها، والاحتفاء بها، ومنحها حق اختيار الزوج، والمساواة بينها وبين إخوتها في العطية، واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي، وجاءت في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية متنوعة مسفرة عن كثير من النتائج نذكر منها:

١- اتساع أفق المصطفي ﷺ في بيان مظاهر تكريم البنت، حيث لم يكتف بالتوجيهات القولية، وإنما ضم إلى ذلك التوجيهات الفعلية بضرب أروع الأمثال في الاحتفاء بالبنت بأفعاله التي تُستحضر كأنها ماثلة أمامنا، مبالغة في التأكيد من جانب، وإضفاء سمت الشمول من جانب آخر.

٢- تجلى التأثر الشديد في المعجم اللفظي لنظم المصطفى ﷺ بالمعجم اللفظي للنظم المعجز، ولا عجب في ذلك فهما يخرجان من مشكاة واحدة.

٣- الاستعانة بالألفاظ المصورة التي برزت بصورة واضحة ترسم بظلالها المشهد، وتصوره تصويرًا دقيقًا كأنه ماثل أمامنا نتلمسه بحواسنا، فتتراءى الحركات، ونسمع دقات وقعها بآذاننا، فيدوم وقعها في النفوس في كل زمان ومكان.

وختامًا توصي الدراسة بتتبع الضوابط النبوية في معالجة القضايا المجتمعية عامة، وقضايا الأسرة خاصة، واستجلاء ما تحويه من درر بلاغية، ولطائف بيانية.

كما توصي بدراسة موازنة بين الوحيين في معالجة مثل تلك القضايا؛ لاستجلاء عرى التناسب بين النظمين.

**الكلمات المفتاحية:** مظاهر، تكريم البنت، بلاغة النبي ﷺ ، البخاري .

# Manifestations of Honoring Girls in Sahih Al-Bukhari: A Rhetorical Study

**Noha Ahmed Mohamed Abdel Rahman**
**Department of rhetoric and criticism at the Faculty of Islamic and Arabic studies for girls in Sohag, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt .**
**Email: Nohaabdelrahman.@azhar.edu.eg**

**Abstract**

**The study was concerned with revealing the rhetorical secrets and rhetorical subtleties of the parts of the syntactic construction, material and structure, which abound in the hadiths of the Chosen One, peace and blessings be upon him, which were included in the two covers of Sahih Al-Bukhari, which is entrusted with addressing a societal issue whose effects still exist to this day, deeply rooted in the clutches of ignorance in response to customs and traditions.**

**The study aims to shed light on the approach of the Prophet's guidance in determining the controls and drawing the frameworks that ensure that the girl is surrounded by a fence of honor while she is in the care of her father. It is titled "Manifestations of Honoring the Girl in Sahih Al-Bukhari: A Rhetorical Study."**

**These controls were tinged with the hue of plurality and were marked with the mark of diversity, as they came in the form of honoring, preserving her right to life, being kind to her, including her in mercy and kindness to her, celebrating her, granting her the right to choose a husband, and equality between her and her brothers in gifts. The study adopted the analytical method and came in an introduction, a preface, five chapters, a conclusion, and various technical indexes that revealed many results, including:**

**The Chosen One's horizon expanded in explaining the manifestations of honoring the daughter, as he did not limit himself to verbal directives, but rather added to that practical directives by setting the most wonderful examples of celebrating the daughter with his actions that are recalled as if they were present before us, exaggerating the emphasis on one hand, and adding the characteristic of comprehensiveness on the other hand.**

**He used pictorial words that appeared clearly, drawing the scene with their shadows, and depicting it in an accurate manner as if it were present before us, touching it with our senses. The movements are visible, and we hear the beats of their sound with our ears, so their effect remains in the souls in every time and place.**

**In conclusion, the study recommends examining the prophetic guidelines for addressing societal issues in general, and family issues in particular, and exploring the rhetorical gems and subtleties they contain. It also recommends a comparative study between the two revelations in addressing such issues, to reveal the apparent harmony between the two systems.**

**Keywords: Manifestations of honoring , the daughter, the Prophet's eloquence , Bukhari.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الكريم المنان، ذي الهبة والإحسان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، الذي وعد المحسن إلى البنات بالمرافقة في أعلى الجنان، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، ثم أما بعد

فقد احتفى الإسلام بالبنت احتفاءً بالغًا، حيث أنزل الله في شأنها قرءانًا يُتلى في نحو قوله تعالى: ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا**﴾[١]، جاعلًا وجودها هبة تستحق الحمد والشكر، ووضع المصطفى ﷺ نُصب عينيه تحديد الضوابط، ورسم الأطر التي تكفل لها السمو في مراقي الرعاية والرفعة، راميًا من وراء ذلك اجتثاث جذور ما يحول دون تحقيقه من عادات جائرة، واعتقادات باطلة بلغت حد عدم الاعتداد بإنسانيتها، وعدها مصدر نجاسة وشؤم وشرور **بخلاف** حالهم مع الولد الذكر، حيث كان موضع عناية واحتفاء، ومظهر فخر واعتزاز، فجاء هديه ﷺ نبراسًا يُستضاء به، ويُبدد ظلمات الميل والانحراف في تربية البنت ورعايتها، على امتداد الزمان، وتنوع المكان لاسيما في عصرنا الحاضر الذي تعددت وتنوعت فيه صور الانحراف.

وانعكاسًا لعناية المصطفى ﷺ البالغة بذلك حفلت كتب السنة المتعددة بالكثير والكثير من الأحاديث التي نوهت بهذا الشأن، وحثت على ضرورة امتثاله في مختلف مظاهره بطرائق متعددة، ومنعًا للإطالة اقتصرت الدراسة على ما ورد في **صحيح البخاري** للاتفاق على صحة ما جاء فيه من أحاديث، مع وفائها بحق مظاهر التكريم، فضلًا عن كون المعاني الكلية التي دارت الأحاديث في فلكها بمثابة الأصل لما طرق وفُرع في الكتب الأخرى.

---

(١) سورة الشورى الآية (٤٩).

وقد اصطبغت تلك المظاهر التي حوتها الأحاديث الواردة في صحيح البخاري بصبغة التعدد، ووسمت بميسم التنوع محلقة بجناحيها في سماء الضوابط المعنوية والمادية، مكتنفة البنت في مختلف أحوالها، وهي تنعم في كنف والدها، أو من يقوم مقامه كالأم، أو الأخ، أو الجد، أو ولي الأمر، فكان مما تجلى لي من تلك المظاهر **التكريم** ابتداء بحفظ حقها في الحياة، ومرورًا بالإحسان إليها، والتلطف معها، والاحتفاء بها، ومنحها حق اختيار الزوج، والمساواة بينها وبين إخوتها في العطية.

وقد زخرت تلك الأحاديث بالعديد من الفنون البلاغية المتنوعة، والطرائق التعبيرية المؤثرة التي كانت خير معين على التوجيه والإرشاد، وتصحيح مسار الاعتقاد على وجه يضمن اكتناف البنت بسياج من التكريم؛ ومن ثم انصرفت الهمة إلى استجلاء تلك الطرائق، وبيان عمق أثرها في وضوح المعنى وتقريره، فجاءت الدراسة موسومة بـ **"مظاهر تكريم البنت في صحيح البخاري دراسة بلاغية".**

## أهداف الدراسة

### تهدف الدراسة إلى تحقيق عدة غايات منها:

١- تسليط الضوء على الضوابط النبوية التي تكفل كرامة البنت، محاولة لمعالجة الانحرافات التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا في نهج تربية البنت استجابة للعادات والأعراف في العالم الإسلامي وغيره، فالحاجة ملحة إلى ذلك.

٢- إبراز الأسرار البلاغية للبيان النبوي في معالجة تلك القضية المجتمعية، حيث التنوع العجيب في طرائق التعبير المتخذة أداة لاستدعاء مواطن التأثير في المخاطب، إذ لم يأت التعبير عن المعنى على وتيرة واحدة، وإنما تنوع البناء إجمالًا وتفصيلًا وإبهامًا وإيضاحًا، وغير ذلك من مظاهر التنوع مما يزيد الأسلوب بلاغة، فدراسة مثل هذه الأمور، وتحليلها، والكشف عن أسرارها جديرة بالاهتمام.

## الدراسات السابقة

**مع تهافت** كثير من الكتَّاب والدارسين على بيان مراقي التميز التي اختص بها الإسلام المرأة، وحازت بها قصب السبق عن نظائرها في المجتمعات المغايرة لاسيما التي حوت مدعي التنوير والتحرير، ومن بات يلهث وراءهم، وينعق بمعتقداتهم، أتى الحديث عن مظاهر تكريم البنت –في الأعم الأغلب– مقتضبًا جرى مجرى التوطئة الممهدة لآفاق متعددة ومتنوعة مراعاة لفارق الامتداد الزمني، وتعدد وتنوع المنازع والدوافع والآثار المترتبة عقب تلك المرحلة؛ ومن ثم كان الاقتصار على ذكر بعض المظاهر التي تدور في فلك تكريمها بمنع وأدها، وتوفير آليات الرعاية والإحسان، لكونها ألصق بما كان سائدًا، ويُفتخر به، نحو ما جاء في بعض المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر:

١- **المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير**، محمد بن ناصر العريني، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

٢- **من صور تكريم الإسلام للمرأة**، محمد بن إبراهيم الحمد، ١٤٢٥هـ، WWW.Toislam.Net.

٣- **تكريم الإسلام للمرأة**، عبد الرازق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤- **تكريم المرأة في الإسلام**، محمد بن جميل زينو، دار القاسم بدون.

٥- **من صور تكريم الإسلام للمرأة دراسة موضوعية**، غادة محمد حسانين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان، العدد الرابع ٢٠٢١م.

**وهذه الدراسات** ذات طابع موضوعي، وإن اختلفت جهته تفسيرًا كان أم حديثًا أم غير ذلك لم تتطرق إلى دراسة الجانب البلاغي لا من قريب ولا من بعيد، ومع ذلك لم نعدم بعض الدراسات التي فصلت الحديث عن تلك المظاهر مع خلوها من استجلاء الأثر البلاغي للنظم، نحو:

١- **المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية**، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط العاشرة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

**وهي** دراسة موضوعية مَعنية بالجانب التأصيلي، حيث عرجت على عدد من المظاهر كمنع وأد البنات، والمساواة بين الأولاد في الإحسان والعطية، ومنحها حق اختيار الزوج، والاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة- على تنوع مصادرها- والآثار.

٢- **البنت من الإهانة إلى التكريم في ضوء الإسلام**، منيرة بنت عبد العزيز بن علي السعوي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد السابع العدد ٣١/ ٢٠١٥م.

**وهي** دراسة تفسيرية موضوعية، عُنيت بعرض قطوف من تكريم البنت، ورعايتها في القرآن الكريم والسنة المطهرة على تنوع مصادرها، وكانت أكثر تفصيلًا من سابقتها في عرض تلك المظاهر.

## منهج الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد المنهج التحليلي الذي تمثلت خطواته فيما يلي:

١- استقصاء الشواهد موضع الدراسة، وتصنيفها تصنيفًا موضوعيًا وفق ما قصد من معانٍ وأغراض.

٢- مراعاة التدرج الزمني عند ترتيب مظاهر التكريم؛ لبيان اكتناف البنت بهذا السياج منذ وجودها متدرجًا معها في مختلف أحوالها وهي تنعم في كنف والدها، أو من يقوم مقامه.

٣- بيان السمت العام للسياق، ونمطه التركيبي، وما استعلى عليه من معانٍ وأغراض؛ إذ ذلك له أثر بين في التعبير عن تلك المظاهر.

٤- الاتكاء في التحليل على أكثر المواضع تفصيلًا وشمولًا مع عقد الموازنة بين النظوم المتشابهة التي تدور في فلك المعنى الواحد، وتسليط الضوء على ما بينها من فروق ودقائق، وتحليلها، وتعليلها، وبيان سر التغاير بينها.

٥- تحليل النظم تحليلًا بلاغيًا دقيقًا كاشفًا عن أثر بناء النظم مادة وبنية في إبراز تلك المظاهر.

**ومما تجدر** الإشارة إليه أن تلك المظاهر كان منبعها أقوال المصطفى ﷺ وأفعاله، فعمدت إلى تحليل ما يصف فعله تحليلًا يكشف عن مكنون ما يرمي إليه.

**جدير بالذكر** أيضًا استبعاد الأحاديث التي اتسمت بالخصوصية، ولم يقصد منها تعميم الحكم، نحو ما كان من رفض المصطفى ﷺ زواج الإمام **علي** ﷺ من زوجة أخرى حال وجود السيدة **فاطمة**- رضي الله عنها- زوجة له.

## خطة الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية متنوعة.

**المقدمة:** عرضت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

**التمهيد:** اشتمل على ثلاثة محاور:

**المحور الأول:** ضابط التكريم لغة واصطلاحًا، ومظاهره.

**المحور الثاني:** قدرة المبين على تحقيق التناسب بين المعاني والمباني.

**المحور الثالث:** إطلالة على الإمام البخاري، ومؤلفه.

**المبحث الأول:** أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بإثبات حقها في الحياة.

**المبحث الثاني:** أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالإحسان إليها.

**المبحث الثالث:** أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالرحمة والتلطف والاحتفاء.

**المبحث الرابع:** أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بمنحها حق اختيار الزوج.

**المبحث الخامس:** أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالعدل بينها وبين إخوتها في العطية.

**الخاتمة:** تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

**الفهارس المتنوعة:** اشتملت على:

١- **ثبت المصادر والمراجع.**

٢- **فهرس الموضوعات.**

## التمهيد

### المحور الأول: ضابط التكريم لغة واصطلاحًا ومظاهره.

**حد التكريم في اللغة**: "**الكاف، والراء، والميم**" أصل يدور حول معاني (الشرف، والرفعة، والعزة، والتنزيه، والسهولة، والجودة، والكثرة) أخذًا من قولهم: "**كل شيء شرفٌ في بابه فإنه يوصف بالكرم**"، وقولهم: "**الكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل**"، وقولهم: "**تكرم فلان عما يشينه: إذا تنزه وأكرم نفسه عن الشائنات**"، وقولهم: "**أرض مَكرمةٌ للنبات: إذا كانت جيدةَ النبات**"، وفسر قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾[(١)] أي: سهلًا لينًا، **ولا يقال الكرم إلا في المحاسن الكبيرة**[(٢)].

**حد التكريم في الاصطلاح:** التكريم: "**أن يوصل إلى الإنسان إكرام أي نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئًا كريمًا**"[(٣)]، والمقصود بالغضاضة: الإهانة[(٤)].

وواضح وضوح الشمس في كبد السماء أن عرى الترابط بين التعريفين قوية وجلية؛ لاتحاد المنبع.

**مظاهر التكريم**: يقصد بها الطرائق والآليات التي يتحقق بها وجوه الخير والفضل المعنوية والمادية للبنت على وجه يضمن لها التميز والرفعة، ويعكس علو شأنها عند ذويها.

---

(١) سورة الإسراء الآية (٢٣).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩م، مادة (ك ر م)، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت صفوان عدنان الداودي ٧٠٧، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ، ولسان العرب، ابن منظور، ت دار صادر بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ، مادة (ك ر م)، وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، بدون مادة (ك ر م).

(٣) المفردات ٧٠٧.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة (غ ض ض).

## المحور الثاني: قدرة المبين على تحقيق التناسب بين المعاني والمباني.

كان المصطفى ﷺ متمتعًا بملكة لغوية فريدة، ومقدرة بلاغية فائقة مكنته من تطويع الألفاظ والأساليب البلاغية لخدمة ما يرمي إليه على وجه يتناسب مع حال المخاطب، والغرض المراد، فلما كان من أجلِّ غاياته تأسيس قاعدة كلية ينبعث من ضوئها مظاهر متعددة لتكريم البنت، ورام ترسيخها في النفوس عمد إلى اصطفاء ألفاظ وأساليب تُعين على تحقيق مقصده، نحو:

### الأسلوب الخبري

اتكأ المصطفى ﷺ في عرض أغلب معانيه على الأسلوب الخبري؛ لإبراز المعنى في معرض الثابت المحقق، فضلًا عن انصراف الهمة إليه؛ لكونه مقصودًا لذاته، وهذا ألصق بمقام التوجيه والتشريع، ومن جانب آخر تجد الأسلوب الخبري أنسب بما ورد من وصف أفعاله ﷺ في تعامله مع البنت، عضد ذلك قلة الاستعمال المجازي للألفاظ والتراكيب؛ إذ لا مجال للخيال، مثل قوله ﷺ : "**لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ**".

### أسلوب التوكيد

اتخذ المصطفى ﷺ من التوكيد بطرائقه المتعددة أداة لتقرير ما يرمي إليه، حيث يضفي عليه سمت التوثيق، ويدفع عنه الشك، فيجد بذلك آذانًا مصغية؛ ومن ثم يقوى أثره في النفس، وهو أسلوب قائم على مراعاة حال المتكلم والمخاطب على حد سواء، كما جاء في قوله ﷺ: "**وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ... فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**"، وقوله ﷺ: "**أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي**".

### أساليب التشويق

كان لأساليب التشويق المتنوعة التي استعان بها المصطفى ﷺ دور مؤثر في تحقيق استمالة المخاطب بجذب انتباهه، وإثارة مشاعره، وتحريك فكره، مما يدفعه دفعًا إلى التجاوب والاقتناع، كاعتماد أسلوب **الاستفهام** في نحو قوله: "**أَعْطَيْتَ سَائِرَ**

**وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟"**، وأسلوب **النداء** في نحو قوله ﷺ: "**يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا** "، وأسلوب **الشرط** في نحو قوله ﷺ: " **مَن ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّار**"، وغير ذلك.

## أسلوب الحوار

يعد أسلوب الحوار من الأساليب المعتمدة في تحقيق الإقناع والإمتاع؛ لما يتسم به من الهدوء واللين والوضوح، ومنح فرصة التفكير والتدبر والمراجعة، ومن ثم يرد ذلك في مقامات معينة كمقام **التلطف** نحو ما جرى من محاورة المصطفى ﷺ للصغيرة **أم خالد** مستحسناً ثيابها **"فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا"**، أو مقام **التصويب** كما جاء في حوار المصطفى ﷺ مع الصحابي **بشير بن سعد** ﷺ مصوبًا ما صدر عنه في تخصيص أحد أولاده بالعطية دون غيره "**قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ »**".

## تناسب الألفاظ

تنوعت الألفاظ الواردة في الأحاديث موضع الدراسة تنوعًا يتلاقى وما قصد من أغراض، حيث اتسمت بالشدة في مقام الحزم والقطع، وإبراز قوة المعنى نحو ما جاء في شأن منع وأد البنات، من التعبير **بالتحريم** "**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**"، واتسمت بالسهولة في مقام التلطف والاستمالة نحو ما جاء في محاورة المصطفى ﷺ لابنته **فاطمة** في قوله: "**مَرْحَبًا بِابْنَتِي... يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ**".

## وضوح الألفاظ

اقتضى مقام التوجيه والتشريع اعتماد الألفاظ المتسمة بالسهولة والوضوح؛ ليصل ما يؤم إلى عموم المخاطبين؛ ومن ثم يتحقق التجاوب والامتثال.

## المحور الثالث: إطلالة على الإمام البخاري ومؤلفه.

سخر الله ــ تعالى ــ لخدمة سنة المصطفى ﷺ علماء أجلاء حملوا على عاتقهم لواء الحفاظ والدفاع عن سنة نبيهم، على رأسهم الإمام **البخاري** الفقيه إمام المحدثين، والمقتدى به فيه، والمعول على كتابه بين أهل الإسلام.

**الإمام البخاري** هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري، **ولد** ببخارى يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وكان والده من العلماء الورعين.

**نشأ** الإمام مع يُتمه محبًا للعلم، متمتعًا بالذكاء المفرط، والحفظ العجيب، وقد أُلهم حفظ **الحديث** وهو دون سن العاشرة، وارتحل في طلبه في بلدان متعددة كبلخ، ومرو، ونيسابور، والشام، والعراق، والحجاز، ومصر، وغيرها، متتلمذًا على يد العديد من **الشيوخ** أمثال: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيي بن يحيي، وغيرهم.

كما **روى** عنه جمع غفير من العلماء منهم: الترمذي، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وسليم بن مجاهد الكرماني، وغيرهم.

عَد البخاري نفسه **مرابطًا** على ثغر من ثغور الإسلام؛ ومن ثم وضع نُصب عينيه التزام الدقة البالغة، وتحري الحيطة والحذر فيما يورده من أحاديث شريفة في صحيحه الذي استغرق تصنيفه ستة عشر عامًا، ضمنه ست مائة ألف حديث جميعها صحت روايتها عن النبي ﷺ، فكتب له القبول والذيوع، فأصبح من أجلِّ كتب الإسلام، وأفضلها بعد كتاب الله، وتهافت العلماء على شرحه، واستجلاء ما فيه من درر ولطائف.

وقد سعد الشيخ بلقاء ربه بعد حياة عامرة بالعلم في ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين، رحم الله الإمام، ونضر وجهه، ورضي عنه[1].

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ت بشار عواد معروف، ٣٤/ (٤٣٠: ٤٦٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ت مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ١٢/ (٣٩١: ٤٧١)، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٩٨٥م، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ت بشار عواد معروف، ٦/ (١٤٠: ١٦٤)، دار الغرب الإسلامي ط الأولى ٢٠٠٣م، وتذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، ابن المبرد الحنبلي ٢٠٧، دار النوادر سورية، ط الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

## المبحث الأول

## أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بإثبات حقها في الحياة

جاء الإسلام متكفلًا بحفظ حق البنت في البقاء على وجه يضمن لها الرعاية والتكريم، وقد عُنِي المصطفى ﷺ بالتنويه بهذا الشأن، واستنكار ما كان سائدًا في الجاهلية في بعض القبائل كـ (مضر وخزاعة وتميم) من حرمانها من هذا الحق[(١)] وإحاطتها بهالة من الإذلال، مستنكفين من وجودها؛ ومن ثم أقدموا على وأدها، مخالفين في ذلك مقتضيات الفطرة السوية التي تستوجب الحفاظ عليها باعتبارها بضعة من الأب، ولا بقاء للنسل بدونها، فجاء البيان النبوي رادعًا وزاجرًا مبينًا الحكم الفصل القاطع بمجانبة الصواب في مسلكهم في **أربعة مواضع**:

**الموضع الأول: عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ "**[(٢)].

**الموضع الثاني: عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ "**[(٣)].

**الموضع الثالث: عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى المُغِيرَةِ: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ المُغِيرَةُ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلاَةِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،**

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١١/ ١٨٥، دار الكتاب الإسلامي القاهرة بدون.

(٢) صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال (٢٤٠٨) ٣/ ١٢٠، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، (٥٩٧٥) ٨/ ٤.

قَالَ: وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ، وَعُقُوق الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ"(١).

**الموضع الرابع**: عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ المُغِيرَةِ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى المُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ»(٢).

**مما تجدر** الإشارة إليه ابتداء أن النظم الوارد في **الموضعين: (الأول والثاني)** أشد أثرًا في الزجر والردع، فضلًا عن كونهما أكثر تفصيلًا فيما يتصل بمناط الاستشهاد؛ ولكون الموضع **الأول** أسبق ورودًا في ترتيبها في الصحيح مع اتفاقه في البناء مع الموضع الثاني يُعتمد في الدراسة والتحليل.

**واضح جلي** أن بناء النظم جاء وفق نسق بديع روعي فيه الجمع بين معانٍ يربطها نسب وصلة، وتكتنفها وشائج قوية مستوجبة التحريم عمادها المنع والقطع، تتمثل في"**عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ**"، حيث يستلزم عقوق الأمهات عصيانهن، وترك الإحسان إليهن، وصدور ما يسبب الأذى من قول أو فعل(٣)، "كأن العاق لأمه يقطع ما بينهما من الحقوق"(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، (٦٤٧٣) ٨/ ١٠٠.

(٢) المرجع السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، (٧٢٩٢) ٩/ ٩٥.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ١٠/ ٤٠٦، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ، والكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الهرري الشافعي١٩/ ٢٩، دار المنهاج، ودار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ١٢/ ٢٤٧، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون.

كما يترتب على وأد البنات منعهن من الحياة، فضلًا عن قطيعة الرحم(١)، و"قطع النسل الذي هو موجب لخراب العالم"(٢).

وثالثهما: يقتضي الامتناع عن إعطاء الحقوق للآخرين، وطلب ومحاولة أخذ ما ليس بحق من الآخرين(٣).

وأخذًا بأيديهم شيئًا فشيئًا روعي التدرج في ترتيب المعاني، حيث قدم تحريم عقوق الأمهات على وأد البنات "**عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ**"؛ لأنهن الأصول، حيث قدم الأصل على الفرع(٤).

وإذا **أنعمت** النظر في بناء النظم تجد تعاضد أجزائه مادة وبنية على إبراز شناعة الجرم الذي كان مرتكبًا من قبل في حق البنات، وتسليط الضوء على تعظيم شأنهن في النفوس، والتوعد الشديد لمن يخالف ذلك، فاقتضى الأمر مجيء النظم في صورة خبرية "**إِنَّ اللَّهَ...**"؛ لإبرازه في صورة الواقع المتحقق، وإضفاء شيء من المصداقية عليه؛ ومن ثم تقريره وترسيخه في النفوس، وجعله موضع قبول واقتناع، فضلًا عن ملاءمته لمقام التعظيم الذي يقتضي التركيز على الموجب، فالاهتمام منصب على الخبر في ذاته.

ولما كان من مقاصد النظم تعديل مسار اعتقادهم، وكشف الغشاوة التي غطت أعينهم، وإزالة الأغاليط التي رسخت في أذهانهم، وحالت بينهم وبين الإدراك الجيد، والتي كان من آثارها المجاهرة بصنيعهم، بل الافتخار به على اختلاف منازعه وتنوع صوره روعي بناء النظم على **التوكيد** "**إِنَّ اللَّهَ...**"؛ لإكساب الكلام

---

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٢/ ١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الإتيوبي٣٠/ ٩٨، دار ابن الجوزي، ط الأولى، (١٤٢٦ــ ١٤٣٦هـ).

(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/ ٤٠٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط الثجاج ٣٠/ ٩٨ .

سمت التوثيق؛ ومن ثم يجد بذلك آذانًا مصغية؛ إذ بالتوكيد يتمكن المراد في النفس، ويتقوى أمره، وتزال الشبهات والشكوك[١]، وفي ذلك تمام التوافق مع طبيعة الخبر، حيث يستلزم الكف عن وأد البنات، وهذا مما يشق عليهم، ويصعب تقبله؛ لتعارضه مع أعرافهم وقناعاتهم.

كما ينبئ هذا **التوكيد** عن استعظام الخبر في نفس المتكلم وانفعاله به[٢]، ورغبته الملحة في إعلان رفضه المطلق، وشدة نفوره من هذا الصنيع؛ ومن ثم التصديق على نقيضه قولًا وفعلًا، يشهد لذلك ما انتهجه من سلوك قويم مثالي في تعامله مع بناته ﷺ، فضلًا عن رغبته في نقل انفعاله إلى المخاطب؛ ليمنحه بذلك فرصة التفكير والتدبر؛ ومن ثم التراجع، والإقلاع، والإقرار ببطلانه.

**ولا يخفى** ما يحمله التوكيد في طياته من الإشارة إلى عظم هذا الجرم، والتعريض بأن الأولى بهم إحاطة البنت بسياج من الرعاية والتكريم.

وقد ناسب ذلك إيثار التوكيد بـ "**إِنَّ**" التي هي بمثابة تكرار الجملة مرتين[٣]، و"تفيد تقوية النسبة وتقريرها في ذهن السامع"[٤] متخذًا من ذلك أداة لجعل المخاطب متفاعلًا وموازنًا ومقيِّمًا.

وقد فتح النظم **أفقًا جديدًا** يُعين على تحقيق الهدف المنشود يتمثل في إيثار تعريف الذات العلية بلفظ الجلالة "**الله**" توافقًا مع قصد التعظيم؛ لأن العظيم لا يفعل

---

(١) ينظر: الطراز لأسرار وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ٢/ ٩٤، المكتبة العصرية بيروت، ط الأولى ١٤٣٣هـ.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، ٩٨، مكتبة وهبة، ط السادسة ٢٠٠٦م.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، ٣/ ٢١٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان الشافعي،١/ ٣٩٨، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

إلا ما هو عظيم مراعيًا في ذلك الأثر الإيجابي المترتب على الفعل الصادر عنه "**تحريم وأد البنات**" من المحافظة على حقهن في البقاء، وتحقيق العمران.

هذا من جانب ومن جانب آخر يتوافق بما يستلزمه من تربية المهابة في النفس لطلاقة قدرته، وشدة انتقامه مع قصد التوعد الضمني للمخالف بسوء المآل جراء الإقبال على هذا الجرم؛ لقبح الأثر المترتب عليه من إزهاق الروح بغير حق، وقطع الرحم، وتجفيف النسل.

ولما كان من غايات النظم الإزالة التامة لهذا الجرم، وما يترتب عليه، وقطع جميع حبائله أوثر التعبير بالتحريم في قوله: "**حَرَّمَ**"؛ لما تحويه دلالة المادة من معانٍ وإيحاءات تتلاقى والغرض المراد كالتشديد في المنع أخذًا من قولهم: "**الحرام: ما ثبت المنع عنه بلا أمر معارض له**"(١)، وقد انعكس ذلك على بناء النظم فأسند الفعل إلى الفاعل مرتين، وهذا ينبئ عن عظيم امتنانه تعالى، وبديع حكمته في منع هذا الجرم، وهذا التشديد يتلاقى مع ما كانوا عليه من حرص بالغ، وإصرار شديد على تنفيذ هذا الصنيع مهما تنوعت طرائقه.

ومن جانب آخر أوثر التعبير بتلك المادة رغبة في منحهم فرصة التفكير؛ لاستلزامها الإشارة إلى بعض علل التحريم المتمثلة فيما يحمله هذا الصنيع من مفاسد وأضرار تستوجب قبح وقعه؛ ولذا أوثر التعبير به دون غيره **كالحظر** مثلًا؛ لأن الشيء قد يكون محظورًا إذا نهي عنه ناهٍ وإن كان حسنًا كفرض السلطان التعامل ببعض النقود، أو الرعي ببعض الأرضين وإن لم يكن قبيحًا، والحرام لا يكون إلا قبيحًا(٢).

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، ت عدنان درويش ومحمد المصري ٤٠٥، مؤسسة الرسالة بيروت بدون.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت محمد إبراهيم سليم ٢٢٩، دار العلم والثقافة والنشر والتوزيع القاهرة بدون.

وحرصًا على شحذ همتهم، وإثارة بواعث الاستجابة لديهم أوثر التعبير بحرف الاستعلاء "**على**" المشعر بالإلزام، وإسناده إلى ضميرهم "**عَلَيْكُمْ**"، وكأن هذا الحكم منوط بهم جميعًا لا فرار منه، ولا مجال للعدول عنه، وفيه إشعار بأن هذا الجرم لا يأتي إلا بالضرر والوبال الحسي والنفسي.

وقد عزف النظم على الوتر الوجداني مستدعيًا عاطفة الأبوة، ومنفرًا من هذا الفعل المشين، فأوثر التعبير بما يشير إلى الفعل وهيئته "**ووَأْدَ البَنَاتِ**" والمراد به "أن تدفن البنت حية"(١) على وجه ينبئ عن قسوة قلوبهم وضيق مداركهم، وانصياعهم لداعي الهوى ووازع التقليد الأعمى متخلين عن أخص ما ميزهم الله به وهو العقل النير الذي يزن الأمور، ويحمي من الميل والانحراف، وهذا مستفاد من دلالة الوأد على الشدة(٢)، مستدعيًا أمامهم بهذا التركيب المصور حالهم وهم يباشرون هذا الجرم الشنيع الذي تمجه الفطرة؛ لعله يلمس شغاف قلوبهم.

ضاعف ذلك التعبير بالمصدر "**وأد**" تأكيدًا(٣)، وليشير إلى حرمة ذلك في كل وقت وبأي صورة، وهذا يتناسب مع عموم الحكم.

وقد ذكر العلماء أن لفظ "**وأد يئد**" مقلوب من "**آد يئود أودًا**" أي: أثقل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾(٤)؛ "لأنه إثقال بالتراب"(٥)، وفي ذلك انعكاس لما كان منهم من قلب مقتضيات الفطرة السوية التي تستوجب حنو الأب وشفقته وتكريمه بدلًا مما بدا منه من كراهية وقسوة وإهانة.

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي النصر، ت زبيدة محمد سعيد ٤٢٢، مكتبة السنة القاهرة، ط الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة ( و أ د).

(٣) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ت عبد الحميد هنداوي، ٢/ ١٣٨.

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٥) .

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٤/ ٧٠٨، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

وتجدهم تفننوا في طرائق الدفن، حيث "كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بقاء حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت بلغت قامتها ستة أشبار فيقول لأمها: طيبيها وزينيها، حتى أذهب بها إلى أقاربها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها، ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض، وقيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتا رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابنا أمسكته"(١).

ومبالغة في الاستدراج والاستعطاف أوثر التعبير بقوله: "**البَنَاتِ**" مستدعيًا أمامهم صورتها وهي حديثة السن ضعيفة(٢) لا تقوى على الكلام فضلًا عن دفع ما ينزل بها مع جبلتها على الحنو والعطف على ذويها بصورة تفوق الولد في الأعم الأغلب، وهذا يستلزم قطعًا حرمة هذا الجرم على من تجاوز ذلك، ولا يخفى ما فيه من التسفيه إذ كيف أقدموا على قطف تلك الزهور وهي في مقتبل تفتحها.

وقد كان للتعريف بالإضافة في قوله: "**وَوَأْدَ البَنَاتِ**" دور بارز في تسليط الضوء على أن مناط الأمر هو العناية بتحريم وأد البنات، فضلًا عن تعظيمه(٣)، وكأن ذلك خاص بهن غاضًا الطرف عما كان من بعض العرب من وأد البنين بدليل التعميم الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾(٤)؛ لتوفر موجبات ذلك وفق قناعاتهم، وعاداتهم حيث حملهم على وأد البنات الخوف من لحوق العار بهم من أجلهم عند إغارة العدو عليهم وسبي نسائهم، أو الخوف من الإملاق في سني الجدب لضعفهن بخلاف الذكور، إذ هم مظنة القدرة على الكسب، وشد العضد، وحماية الجانب، وكثرة العشيرة، وبقاء النسل والذكر(٥).

---

(١) التفسير الكبير، الرازي،٣١/ ٦٦، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (ب ن ي).

(٣) ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين ٤٢٢.

(٤) سورة الأنعام الآية (١٥١).

(٥) ينظر: الكشاف ٤/ ٧٠٨، والبحر المحيط الثجاج ٣/ ١١، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٣٠/ ١٤٥، الدار التونسية للنشر تونس،١٩٨٤م.

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد في التعبير **بالبنات** محاولة للتأثير من خلال الجمع بين ما هو من وادٍ واحد "**الأمهات والبنات**"؛ لما بينهما من توافق في الصفات والأحوال والحقوق؛ ولذا جعل النظم العقوق خاصًا بالأمهات مع وقوعه على الوالدين عمومًا مبالغة في استدراجهم، ولفتهم إلى ما يجب في حقهن من رعاية وإحسان، حيث توفر موجبات ذلك في الأمهات والبنات بصورة أظهر، حيث العقوق إلى الأمهات أسرع، وأكثر، وآكد حرمة من الآباء؛ لضعف النساء، وطمع الأولاد فيهن، وللتنبيه على أن بر الأم مقدم على بر الأب لوفور التلطف والحنو والشفقة، وهذا من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظم موقعه، وبيان قبح عقوقه(١).

وكذلك الشأن في جانب البنات حيث خصهن بالذكر دون الأولاد لما سبق ذكره؛ ولذا كان من تمام المناسبة إيثار التعبير بـ "**الأُمَّهَاتِ**" دون "**الوالدات**" مخاطبًا فيهم الحس المجتمعي؛ ليشمل من ولدته ومن تقوم مقامها، تناسبًا مع العموم المستفاد من التعريف بـ "**ال**" في قوله: "**البَنَاتِ**"؛ ليشمل من كانت من صلبه وغيرها، وسواء أكانت واحدة أم أكثر.

---

(١) ينظر: عمدة القاري ١٢/ ٢٤٧، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني٢٥/ ٤١، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري، ابن زكريا الأنصاري، ت سلمان بن دريع العازمي، ٥/ ١٧٤ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض، ط الأولى ٢٠٠٥م.

## المبحث الثاني

## أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالإحسان إليها.

بُعث النبي ﷺ لإتمام مكارم الأخلاق، والسمو بالنفس الإنسانية، والتحليق بها في سماء الفضيلة والعزة موجهًا ومرشدًا إلى سبل ذلك وآلياته التي منها تهذيب النفس بالإحسان إلى البنات، وحسن صحبتهن مجتثًا ما كان شائعًا عند بعض القبائل بإماطة اللثام عما ينتظر تلك النفس من حسن الأجر في الآخرة جزاء وفاقًا؛ ومن ثم تعظم مكانتهن لكونهن من أسباب الرضوان، والفوز بالجنان، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **موضعين:**

**الموضع الأول: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**(١).

**الموضع الثاني: عن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**(٢)

**واضح جلي** ما بين نظم الموضعين من تشابه في الألفاظ والتراكيب لاتحاد الواقعة، ولاتحاد مدار الحديث، ومع ذلك يُلحظ اختلاف يسير في بعض الألفاظ مع تفاوت في بناء النظمين **إجمالًا وتفصيلًا** حيث كان بناء النظم في الموضع **الثاني** أكثر تفصيلًا بالامتداد في بناء جملة الشرط؛ ومن ثم يُعتمد في التحليل مع الإشارة إلى ما ورد من اختلاف.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، (١٤١٨) ٢/ ١١٠.

(٢) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٥٩٩٥) ٨/ ٧ .

كان عماد النظم رسم خطى واضحة لقاعدة كلية تخاطب الوجدان والعقل في كل زمان ومكان؛ ومن ثم كان اجتباء ألفاظ وتراكيب مُعِينة على تحقيق ذلك منها:

إيثار أسلوب **الشرط** الذي يعد من أقوى الأساليب تأثيرًا في المخاطب، حيث يؤثر فيه تأثيرًا كليًا؛ لما يقتضيه من التلازم بين طرفيه، وتسبب أحدهما على الآخر[١]، فضلًا عما يحدثه من جذب انتباهه، وتشويقه، ومنحه فرصة التفكير والمشاركة لاستدعائه الطرفين قارنًا في الذهن بين الإحسان إلى البنات ودخول الجنة، وهو أقصى ما تهفو إليه النفس؛ ومن ثم تشحذ الهمم، وتقوى العزائم، وينبعث الإصرار على الالتزام بذلك على وجه لا حد له، فبقدر الإحسان إليهن يكون الإحسان في الجزاء.

وقد لاءم مقام التأسيس إيثار **أداة** الشرط التي تفيد العموم "**مَـنْ**"[٢] منعًا لاقتصار الحكم على شخص معين، أو زمان محدد، أو مكان مخصص مانحًا بذلك فرصة عموم الاشتراك، ولا يخفى ما في ذلك من التشجيع، حيث لم يجعل هذا الجزاء مقتصرًا على صاحبة الواقعة.

واستدعاءً لما تستوجبه تربية البنات من مبالغة في الرعاية، ووعي في الإدراك، وفطنة في التصرف جاء التعبير بقوله: "**يَلِي**" من الولاية وهي القيام بالشئون والعناية[٣] متمكنًا في موضعه، ومن جهة أن هذا مما يشق على بعض النفوس جاء التعبير بقوله: "**ابْتُلِيَ**" في الموضع **الأول** مراعيًا أن الابتلاء لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق[٤]، تناسبًا مع ما انفرد عرض الحدث بذكره من قول السيدة

---

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني،١/ ٢٠٨، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) ينظر: علل النحو، ابن الوراق، ت محمود جاسم الدرويش ٤٣٦، مكتبة الرشد، الرياض ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

(٣) ينظر: حاشية صحيح البخاري تعليق مصطفى البغا٨/ ٧.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ٢١٦ .

عائشة: "**وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا**"، حيث آثرت إطعام ابنتيها على نفسها مع شدة حاجتها، كما أن في ذلك مراعاة لما استقر في أذهان بعضهم من معتقدات، وما جرى بين أيديهم من عادات عمادها كراهة إنجاب هذا النوع بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**﴾ [(١)][(٢)] فضلًا عن مراعاة طبيعة تكوينهن، حيث يغلب أن لا يكن مورد كسب وعيش بخلاف الذكور؛ لما فيهم من قوة البدن، وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال[(٣)].

ومن جهة أخرى روعي في هذا التعبير استخراج ما عند المبتلى من قدرة على التحمل، ورغبة في الإحسان إليهن؛ ومن ثم كان موضع العناية تسليط الضوء على الحدث، وبيان مردوده في نفس المبتلى، فبني الفعل للمجهول "**ابْتُلِيَ**"، وجاء على صيغة التكلف قصدًا للمبالغة.

وقد ناسب ذلك إيثار التعبير بما يستدر وجوه الإحسان المتعددة والمتنوعة "**البَنَاتِ**"، لاقتضائه الإشارة إلى حداثة السن[(٤)]؛ ومن ثم احتياجهن إلى مزيد من الرعاية والعناية؛ لما فيهن من قلة الحيلة، والضعف عن القيام بمصالح أنفسهن، والحاجة إلى التحصين[(٥)]؛ ولذا كان التعبير بصيغة المضارعة "**يَلِي**"؛ لاستلزامها التجدد، فمظاهر العناية تتجدد وتتنوع وفق تجدد وتنوع مقتضياتها، كما تفسح المجال لتصور هيئة وقوع الفعل على اختلاف صوره ودرجاته؛ لاختلاف أحوال البنت وطبائعها.

---

(١) سورة النحل الآيتان (٥٨: ٥٩).

(٢) ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل العراقي ٧/ ٦٧، دار إحياء التراث العربي بدون.

(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/ ٤٢٩.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة ( ب ن ي) .

(٥) ينظر: طرح التثريب ٧/ ٦٨ .

وشحذًا للهمم أتى التعريف باسم الإشارة "**هَذِهِ**" متمكنًا في موضعه؛ لاقتضائه تمييز المشار إليه أكمل تمييز فضلًا عن تعظيم شأنه(١)، فيدفعهم بذلك دفعًا حثيثًا إلى تلمس وجوه الإحسان؛ لعظم الأثر المترتب، وقد ناسب ذلك التعبير باسم الإشارة الموضوع للقريب؛ ليعكس ما ينبغي أن يكون من قرب نفسي، ضاعف ذلك التعميم المستفاد من التعبير بقوله: "**شَيْئًا**"؛ لما يفيده من المبالغة في الإبهام؛ إذ "**الشيء**: أعم العام"(٢)، فيشمل بذلك الواحدة فما فوق، وهذا أنسب لمقام التأسيس مفسحًا بذلك مجال المشاركة، كما يتناسب من جانب آخر مع التعميم المستفاد من التعريف بـ"**ال**" الوارد في قوله: "**البَنَاتِ**" يشهد لذلك قوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ، وَسَرَّائِهِنَّ، وَضَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ**»، **قَالَ رَجُلٌ: وَابْنَتَانِ؟ قَالَ: وَابْنَتَانِ، قَالَ رَجُلٌ: وَوَاحِدَةٌ؟ قَالَ: وَوَاحِدَةٌ** "(٣)، عضد ذلك بناء اللفظ على التنكير؛ لما يقتضيه من الدلالة على التعظيم.

ولما كان الأمر منوطًا بالقيام على شئونهن على وجه مرضي روعي الامتداد في بناء جملة الشرط فقيل: "**فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ**"، وقد جاءت أجزاء النظم مادة وبنية متعاضدة على بث روح التشجيع والتحفيز، فجاء العطف **بالفاء** مشيرًا إلى سرعة إحاطتهن بوجوه الإحسان بمجرد وجودهن، فضلًا عن الكشف عن الرغبة الملحة التي تدفعه دفعًا حثيثًا إلى امتثال ذلك على أتم وجه، وكأنه مجبول على ذلك.

كما دفعه ذلك إلى رعايتهن على وجه تهفو إليه النفوس؛ ومن ثم أوثر التعبير بالإحسان في قوله: "**فَأَحْسَنَ**"؛ لما تقتضيه تلك المادة من دلالات وإيحاءات مُعِينة على تحقيق المراد كحصول النفع الحسي أو المعنوي على وجه يدخل السرور على

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، (٤٤: ٤٦)، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٩٨٥م.

(٢) الكليات ٥٢٥ .

(٣) مسند ابن أبي شيبة، ت كمال يوسف الحوت٥/٢٢٢، مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

النفس لاستلزامه الوضوح والتفضل والرفعة[١]، فإحسانه يتمثل في صيانتهن، والقيام بما يصلحهن من نفقة وكسوة وغيرها، والنظر في أحسن الأحوال لهن، وتعليمهن ما يجب تعليمه، وتأديبهن، وزجرهن عما لا يليق بهن، ومن تمام الإحسان أن لا يظهر بهن ضجرًا ولا قلقًا ولا كراهة ولا استثقالًا، فإن ذلك يكدر الإحسان[٢]؛ ومن ثم أتت التعدية بالحرف الدال على الانتهاء "**إِلَيْهِنَّ**"، وكأنه يستثيرهم إلى بلوغ الغاية في الإحسان كل حسب طاقته، وقد وعد المصطفى ﷺ بأن جزاء المبالغة في الإحسان إلى البنات مرافقته في الجنة حيث قال ﷺ: "**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ**[٣]، فجاء النظم على وجه ينبيء عن عظمة المشقة التي يتكبدها المنوط به تربية البنات، حيث أوثر التعبير بقوله: "**عَالَ**"[٤] مراعيًا في دلالتها بيان الحرص الشديد على التكفل بهن مهما شق عليه ذلك وأثقل كاهله، فضلًا عن إشارته إلى الأثر النفسي المصاحب لتلك الرعاية، ونهج المربي في معاملته، وقد تناسب ذلك مع الإشارة إلى مرحلة زمنية تستوجب تعدد وتنوع مظاهر الرعاية والعناية "**جاريتين**"، إذ "الجارية: الفتية من النساء"[٥]، وتمام ذلك بلوغ درجة الاستغناء "**حَتَّى تَبْلُغَا**".

وبعد أن كشف النظم – مناط الاستشهاد– عن حسن الصنيع في فعل الشرط تشوقت النفس إلى بيان الأثر المترتب على ذلك، فجاء **جواب الشرط** فيه شفاء الغلة ببيان حسن الأثر جزاء وفاقًا "**كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**"، وقد أتى بناء النظم كاشفًا عن

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٩٧، ولسان العرب مادة ( ح س ن).

(٢) ينظر: طرح التثريب٧/ (٦٧: ٦٨) .

(٣) صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضل الإحسان إلى البنات ٤/ ٢٠٢٧(٢٦٣١)، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون .

(٤) ينظر: لسان العرب مادة ( ع و ل).

(٥) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، ابن بطال، ت مصطفى عبد الحفيظ سالم، ١/ ٢٦٠، المكتبة التجارية مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

ذلك، حيث يروقنا جمال الالتفات بالتعبير بالفعل الماضي عما يكون مستقبلًا " **كُنَّ**"، و"فائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"(١)، وفي ذلك بث للطمأنينة واليقين من جانب؛ وتطرية لنشاط السامع وإيقاظ لذهنه(٢) من جانب آخر؛ ومن ثم يزداد الإقبال، ضاعف ذلك التعبير بفعل الكون "**كُنَّ**"، كما تجد في ذلك انسجامًا مع التعبير بصيغة الماضي في جانب الشرط في الموضع الأول "**ابتلي**".

ومن مظاهر الإحسان في الجزاء التخصيص المستفاد من التعبير بقوله: "**لَهُ**" مؤثرًا التعبير باللام المشعرة بالانتفاع، وكأنهن سخرن لتلك المهمة المنوطة بهن.

ويروق ويعجب مقابلة التعميم في الإحسان بالتعميم في الجزاء بإيثار التعبير بضمير النسوة في قوله: "**كُنَّ**"، ومن شأن ذلك أن يضاعف الأثر؛ ومن ثم يتضاعف السرور، ويزداد الإقبال وتعلو الهمة.

ومن تمام الملاءمة إيثار التعبير بالستر "**سِتْرًا**"(٣) المقتضي الإضراب عن الشيء، وكأن حسن معاملة البنات سبب للتجاوز عما بدر منه مما يؤثم عليه، فهو بمثابة الحائل المانع، ومن جانب آخر روعي فيه ما يتلاقى مع ما قصد من بناء النظم من تعظيم شأن البنات من خلال بيان عظم الأثر المترتب لدلالة المادة على الإحاطة أخذًا من قولهم: "**سترت الشيء: غطيته**".

وقد قصد من وراء هذا التعبير الذي لا يمنع من الدخول على المستور تحفيز المخاطب، ودفعه إلى توخي الإحسان في المعاملة حتى ينال هذا الجزاء، ويتحقق

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ت أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ٢/ ١٤٩، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة بدون.

(٢) ينظر: الكشاف ١/ ١٤.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (س ت ر) .

ذلك أيضًا بإيمائه إلى طبيعة تلك المعاملة من جهة استلزامه الدلالة على الحسن والعفة مشيرًا بذلك إلى الأثر النفسي.

ومبالغة في التحفيز جاء التعبير بالمصدر لإفادة التوكيد(١)، ضاعف ذلك التنكير الذي قصد من ورائه التعظيم.

ويأتي حذف مدخول حرف الجر في قوله: "**مِنَ النَّارِ**" المقدر بـ **دخول النار**" مصورًا النار تَميز غيظًا وحنقًا آخذة في الهجوم الذي لا يحول دونه سوى حسن صحبة البنات، زاد من ذلك إيثار التعبير بـ "**النَّارِ**"(٢) لشمول الإشارة إلى جميع طبقاتها، ودرجاتها، وصورها، وهذا أقوى في إبراز حسن الجزاء بالنجاة من ذلك الوبال.

**ومما** له بذلك نسب وصلة ما ورد من **إقرار** المصطفى ﷺ صنيع الصحابي الجليل **جابر بن عبد الله** ﷺ عندما وضع نُصب عينيه تقديم مصلحة إخوته على مصلحته استجابة لمقتضيات الولاية الحسنة بعد استشهاد والده في غزوة "**أحد**"، والتي كان من مظاهرها إيثار الزواج بثيب غاضًا الطرف عما تستطيبه النفس من الزواج بالبكر؛ لتعينه على تحقيق الإحسان إلى إخوته بحسن التربية والرعاية، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **ثلاثة** مواضع:

**الموضع الأول: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَاذَا أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟» قُلْتُ: لاَ بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ «فَهَلَّا جَارِيَةً تُلاَعِبُكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ،**

(١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ٢/ ١٣٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ت أسعد محمد الطيب، ٧/ ٢٢٦٥، مكتبة نزار مصطفى الباز المملكة العربية السعودية، ط الثالثة ١٤١٩هـ.

كُنَّ لِي تِسْعَ أَخَوَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ، وَلَكِنِ امْرَأَةً تَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «أَصَبْتَ»(١).

**الموضع الثاني:** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟» قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ، وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ» قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ، فَقَالَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ»(٢).

**الموضع الثالث:** عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا» قُلْتُ: ثَيِّبًا، قَالَ: «هَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ، أَوْ تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ» قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «فَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ»(٣).

**مما** يلحظ ابتداء تفاوت نظم تلك المواضع **إجمالًا وتفصيلًا** في عرض مظاهر الإحسان، حيث اتسم النظم الوارد في الموضع **الثالث** بالإجمال "**تَقُومُ عَلَيْهِنَّ**" جملة وحدة أطلقت العنان للتفكير في العديد من المهام المتنوعة المنوطة بالزوجة قِبَل تلك البنات من التزام الرعاية والتأديب والتوجيه والتعليم والإصلاح وغير ذلك، وهذا مستفاد من إيثار التعبير بالقيام في "**تَقُومُ**"؛ لاستلزام دلالة المادة الإشارة إلى العزم،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون، (٤٠٥٢) ٥/ ٩٦.

(٢) المرجع السابق، كتاب النفقات، باب عون المرأة زوجها في ولده، (٥٣٦٧) ٦٦/٧.

(٣) المرجع السابق، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمتزوج، (٦٣٨٧) ٨/ ٨٢.

والمحافظة، والإصلاح، والملازمة، والتمسك[1]، سالكة مسلك التلطف والاعتدال ترفقًا بهن، وتطييبًا لقلوبهن.

ومبالغة في توفير سبل الرعاية، وإبراز عظيم العناية أوثر تعدية الفعل بحرف الاستعلاء "**عَلَيْهِنَّ**" إشارة إلى شمولهن بالاهتمام والاحتفاء، وإحاطتهن بذلك من كل جانب، ضاعف ذلك جعل مدخول حرف الاستعلاء الضمير العائد إلى البنات "**عَلَيْهِنَّ**" دون غيره نحو: خدمتهن، أو شئونهن، **وهذا المعنى تقاسمه النظم في الموضعين الأول والثاني.**

**ويأتي** التفصيل في الموضع **الأول** ليسلط الضوء على مظهر خاص من عموم مظاهر الرعاية يتمثل في تمشيط شعر البنات "**تَمْشُطُهُنَّ**" انسجامًا مع ما انفرد النظم بذكره من قوله: "**جَارِيَةً خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ**"، والخرقاء هي: الحمقاء الجاهلة بأعمال المنزل المحتاج إليها، والتي لا رفق بها ولا سياسة[2]، فاختار ما هو **أظهر دلالة** على حسن رعاية البنت، وما به تمتاز عن غيرها، ويحتاج إلى مزيد اهتمام وصبر وترفق، إذ بتحققه يتحقق غيره، **ناسب** ذلك إسناد الفعل إلى ضميرهن عناية واهتمامًا.

أما التفصيل الوارد في الموضع **الثاني** فقد انصرف إلى بيان الأثر المترتب على حسن الرعاية المتمثل في صلاح حالهن "**وَتُصْلِحُهُنَّ**" سالكًا مسلك الترقي مراعاة لاختلاف أحوالهن، ونهج الزوجة في القيام بمهمتها، حيث تستلزم دلالة المادة الإشارة إلى تحقق المنفعة والخير بعد الإفساد على وجه من الإحسان[3].

وقد **توافقت** تلك المواضع في التعبير بصيغة المضارعة؛ للإشارة إلى تجدد القيام بتلك المهام وفق تجدد مقتضياتها، ومن جانب آخر تُعنى تلك الصيغة باستحضار صورة الزوجة وهي تباشر تلك المهام؛ ومن ثم تصبح قدوة يحتذى بها.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (ق و م).

(٢) ينظر: طرح التثريب ٧/ ١٢، وعمدة القاري١٧/ ١٤٧.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ص ل ح)، ولسان العرب مادة (ص ل ح)،

كما **توافقت** في إسناد الأفعال إلى الضمير العائد إلى البنات " **تَقُومُ عَلَيْهِنَّ**"،و " **تَمْشُطُهُنَّ**"، و "**وَتُصْلِحُهُنَّ**"؛ لانصراف الاهتمام إلى ذواتهن، وما يتعلق بهن تقديرًا واعتزازًا، موصدًا بذلك الباب أمام أدنى تقصير.

**وقد لقي** صنيع الصحابي ﷺ استحساناً من قبل المصطفى ﷺ، وحاز على إعجابه، فامتدح صنيعه، ودعا له، وجاء ذلك على جهة التكامل سالكًا في بيانه مسلك الترقي، حيث الابتداء بالإشارة إلى توفيقه في صنيعه بقوله ﷺ: "**أَصَبْتَ**" بتلك الجملة الموجزة التي تحمل في طياتها بيان ما يتمتع به الصحابي من عقل متزن، وحكمة رشيدة، وحنو وإيثار، فقد أصاب في الفكر، وأصاب في الفعل، ووصل إلى مبتغاه عن قصد وعزم، فالأمر مستقر عنده(١)، ولا يخفى ما يبعثه ذلك من التحفيز، وبث الشعور بالفخر والاعتزاز؛ ومن ثم يهرع إلى ما يحقق الإحسان إليهن.

وجاء هذا التعبير متناسبًا على جهة **التقابل** مع التعبير بالخرق في قوله: "**خَرْقَاءَ**" من جهة اقتضاء الأول تجنب الخطأ، بخلاف التعبير الثاني.

ثم **يترقى** المصطفى ﷺ في تحفيزه بالدعاء له في قوله: "**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ**"، و"**فَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ**"، وقد جاء البناء كاشفًا عن شدة إعجاب المصطفىﷺ، حيث آثر مجيء الدعاء في صورة خبرية؛ لإظهار التفاؤل والحرص والرغبة في وقوع ما دعا به، وتحقيقه إدخالًا للسرور على المخاطب، وفيه إشعار بأن الدعاء للمخاطب قد حصل وتحقق(٢) فيقوى الأثر.

كما آثر الدعاء له بما تهفو إليه النفس، ويجد فيه عوضًا عما فاته، فدعا له بالبركة "**بَارَكَ**" المستلزمة تحقق الزيادة والخير والسعادة(٣)، وقد زاد الدعاء تعظيمًا

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ص و ب).

(٢) ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، (٣٤١: ٣٤٢)، مؤسسة المختار القاهرة، ط الثانية ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ت أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط الرابعة ١٩٨٧م، مادة ( ب ر ك)، ولسان العرب مادة (ب ر ك).

وشرفًا إسناد الفعل إلى علم الذات "**اللَّهُ**"، إذ العظيم لا يفعل إلا ما هو عظيم، وكفى بذلك عوضًا.

وقد راعى في إيثار التعدية بـ (اللام) إفادة الاختصاص، وفي التعدية بـ (على) شمول البركة له، واستعلاءها عليه(١)، وإحاطتها به من كل جانب، وهذا أرفع قدرًا، ناسبه وصل أجزاء النظم بحرف التعقيب المقتضي الإشارة إلى سرعة تأثر المصطفى ﷺ بهذا الصنيع، وإظهار ذلك.

ولا يخفى ما يضفيه دخول الحرف على ضمير الصحابي ﷺ من الشعور بالخصوصية والتميز، فيزداد إقبالًا واستمرارًا.

(١) ينظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين العسقلاني، ت لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب١٥/٤١٧، دار النوادر سوريا، ط الأولى١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

## المبحث الثالث

## أثر البلاغة النبوية في الرحمة والتلطف والاحتفاء بالبنت

ضرب النبي ﷺ أروع الأمثال في إحاطة البنت بسياج من التكريم الذي تعددت وتنوعت مظاهره، حيث كان يكتنفها دائمًا بجناح الرحمة، ويخيم عليها بظلال التلطف واللين، ويسمو بها في مراقي المودة محتفيًا، وقد تعددت المواضع الكاشفة عن ذلك في صحيح البخاري، بعضها عُني بتسليط الضوء على مظاهر رحمته ﷺ بالبنت، وبعضها كان عمادها إماطة اللثام عن مظاهر تلطفه ﷺ معها، وطائفة أخرى كانت منوطة بإبراز مظاهر احتفائه ﷺ بها؛ ومن ثم تقرن كل طائفة معًا في الدراسة على النحو التالي:

**أولًا**: **رحمة المصطفي ﷺ بالبنت**.

أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وجمع مع الرحمة رأفته بالمؤمنين، فكانت رحمته معيناً لا ينضب، ومنبعًا لكافة ما يصدر عنه قولًا وفعلًا في تعامله مع الجميع على اختلاف أجناسهم وأحوالهم، يؤكد ذلك حسن صنيعه في تعامله مع حفيدته الصغيرة **أُمامة بنت ابنته زينب**، التي توفيت أمها وهي صغيرة، فتربت في كنف **جدها**(١)، تمتد إليها يده الحانية بالرعاية والرحمة، حيث كان ﷺ يحملها أثناء صلاته، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **موضعين**:

**الموضع الأول**: **عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا»**(٢).

---

(١) ينظر: شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني، ت أبو المنذر خالد المصري، ٤/ ١٤٤، مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، (٥١٦)١/ ١٠٩.

**الموضع الثاني**: **عن أَبي قَتَادَةَ، قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا»**(١).

روعي في بناء النظم إماطة اللثام عن موفور رحمته ﷺ بالطفلة الصغيرة التي كانت أحب أهله إليه(٢)، فجاءت دلالات ألفاظه وتراكيبه تفيض بذلك، ومن جانب آخر ترسم بظلالها المشهد، وتصوره تصويرًا دقيقًا كأنه ماثل أمامنا نتلمسه بحواسنا، فتتراءى الحركات، ونسمع دقات وقعها بآذاننا، فيدوم وقعها في النفوس في كل زمان ومكان، وكأن في ذلك دعوة إلى امتثال صنيعه، وما له بذلك صلة ونسب، واجتثاث ما تغرسه بعض العادات الجائرة التي تحيف بحق البنت، فالرحمة بالولد الصغير، والرفق به من الأعمال التي يرضاها الله، ويجازي عليها(٣).

واضح جلي ما بين نظم الموضعين من **تكامل** في عرض الأحداث؛ لنقل الصورة مفصلة بكل دقائقها.

لما كان من أجل الغايات تغيير مسار الاعتقاد عند بعض الأفراد، ورسم الخطى الصحيحة الواجب امتثالها كان هذا الصنيع بمرأى ومسمع من جمع من الناس بدليل التعبير بضمير الجمع في قوله: "**عَلَيْنَا**"، ومما يضاعف الأثر كون هذا الصنيع قد تجاوز أسوار البيت بدليل التعبير بقوله: "**خَرَجَ**"، وفي ذلك حث على ضرورة إحاطتهن بهذا السياج داخل البيت وخارجه.

وقد أتت الجملة الحالية متمكنة في موضعها مستدعية تلك الهيئة التي كانت الصغيرة تنعم بها من جانب، وتشعرها بالفخر والسرور من جانب آخر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٥٩٩٦) ٨/ ٧.

(٢) ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ٦/ ٢٢، دار الفكر بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٩/ ٢١١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

ومع تفاوت بناء النظم في الموضعين في رسم تلك الهيئة جاء كاشفًا عن موفور رحمته ﷺ بالصغيرة، حيث جاء النظم في الموضع **الأول** مبنيًا على الإبهام في قوله: "**حَامِلٌ**"(١) بهذه المادة التي تحمل في طياتها الإشارة إلى ما تستلزمه من القرب الشديد؛ ومن ثم التمكن، فضلًا عما تعكسه من شعور الحامل بالرضا، والحرص، والرغبة الشديدة في تحقيق الفعل.

وترقيًا في إبراز موفور رحمته ﷺ يأتي النظم الوارد في الموضع **الثاني** موضحًا الهيئة الخاصة لهذا الحمل "**عَلَى عَاتِقِهِ**" الجامعة بين الأثر الحسي المتمثل في تحقيق سلامة المحمول، وراحته على أتم وجه؛ إذ "العاتق ما بين المنكب والعنق"(٢)، والأثر المعنوي المتمثل في إبراز علو منزلتها، ورفعة قدرها في نفسهﷺ.

وقد عمد المصطفى ﷺ إلى توفير الراحة للصغيرة بما يتوافق وأفعال الصلاة، حيث كره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها لطول ما ألفته واعتادته من ملابسته في غير الصلاة، وفي فعله ذلك أعظم أسوة لنا، فينبغي الاقتداء به في رحمته بالصغير(٣)، "**فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا**»، و "**فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا**»، وقد جاء ذلك على وجه محقق مستقر؛ ومن ثم أوثر التعبير بأسلوب **الشرط** المقتضي تلازم طرفيه، وتكراره في بناء كل معنى **تأكيدًا**، ناسب ذلك إيثار أداة الشرط "**إذا**" التي ترد فيما هو مقطوع به(٤)، وكان من تمام ذلك التعبير بالفعل الماضي المقتضي تحقق وقوع الفعل.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (ح م ل).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ت عبد الحميد هنداوي ١/ ١٧٩، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٩/ ٢١٢، وعمدة القاري ٤/ ٣٠٣.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط نعيم زرزور، ٢٤١، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية ١٩٨٧م.

وكما حرص المصطفى ﷺ على تحقيق الراحة للصغيرة في حملها حرص على تحقيق ذلك في تركها أثناء الركوع والسجود؛ ومن ثم جاء التعبير بالوضع "**وَضَعَهَا**"(١) المقتضي التلطف والرفق في الحركة على وجه يحقق الثبات والاستقرار عناية بها، وتكريمًا لها.

ولما أشار النظم في الموضع **الثاني** إلى ابتداء الصلاة بالصغيرة أشار إلى الركوع، وصنيعه بعده "**وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا**"، بينما أشار النظم في الموضع **الأول** إلى حاله معها بعد السجود انسجامًا مع تخطى مرحلة الشروع في الصلاة "**وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا**»؛ ولذا جاء التعبير بالحمل مشاكلة لما كان منه في القيام الأول " **كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ**"، فضلًا عن مراعاة طول مدة الوقوف، بينما جاء التعبير بالرفع مشاكلة لما ورد ذكره في جانبه "**رَفَعَ رَفَعَهَا**".

**ثانياً**: **تلطف المصطفى ﷺ مع البنت**.

كان المصطفي ﷺ متمتعًا بالوعي الدقيق بطبائع النفوس البشرية، لاسيما ما جبلت عليه البنت من الميل إلى التلطف واللين في شتى جنبات حياتها؛ ومن ثم اتخذ هذا المسلك نبراسًا يُهتدي به، وأدل شاهد على ذلك حسن صنيعه مع الطفلة الصغيرة "**أم خالد**"(٢) إثر عودتها مع أهلها من أرض الحبشة التي ولدت فيها حين خصها **بخميصة** "كساء أسود مربع له علمان"(٣) أُتي بها إليه، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **خمسة مواضع:**

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (و ض ع).

(٢) أم خالد هي: أَمَة بنت خالد بن سعيد بن العاص، وأمها همينة بنت خلف، ولدت بأرض الحبشة بعد هجرت والديها إليها، ولم تزل هناك حتى قدموا في السفينتين، تزوجها الزبير بن العوام، وأنجبت له عمرًا وخالدًا، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ت محمد عبد القادر عطا، ٨/ ( ١٨٦: ١٨٧)، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، ت محمد عوض، ٧/ ٧٣، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ٢٠٠١م.

**الموضع الأول:** عَنْ أُمِّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَنَهْ سَنَهْ» – قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ –، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي»(١).

**الموضع الثاني:** عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، قَالَتْ: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ، فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمِيصَةً لَهَا أَعْلاَمٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «سَنَاهْ سَنَاهْ»(٢).

**الموضع الثالث**: عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ» فَسَكَتَ القَوْمُ، قَالَ: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهْ»(٣).

**الموضع الرابع**: عن أُمُّ خَالِدٍ بِنْتُ خَالِدٍ، قَالَتْ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ، قَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُوهَا هَذِهِ الخَمِيصَةَ» فَأُسْكِتَ القَوْمُ، قَالَ: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا»(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، (٣٠٧١) ٤/ ٧٤.

(٢) المرجع السابق، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة، (٣٨٧٤) ٥/ ٥٠.

(٣) المرجع السابق، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، (٥٨٢٣) ٧/ ١٤٨.

(٤) المرجع السابق، كتاب اللباس، باب ما يدعى لمن لبس ثوبًا جديدا، (٥٨٤٥) ٧/ ١٥٣.

**الموضع الخامس**: **حَدَّثَنَا حِبَّانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَنَهْ سَنَهْ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهَا» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي»**(١)

**مما تجدر** الإشارة إليه ابتداء ما روعي بين نظم تلك المواضع من **تكامل** في عرض أحداث الواقعة، حيث تجمع بين أقطابها تفاصيل الحدث التي تجلى في جميعها تلطف الحبيب المصطفى ﷺ ومزحه مع الصغيرة؛ ومن ثم نعمد إلى عرضها وفق مقتضيات **التدرج الزمني**.

**مما يلحظ** أيضًا مجيء بناء النظم مادة وبنية يفيض بدلالات **التلطف واللين**، فيطالعنا **التلطف في طلب إحضار** الصغيرة إلى النبي ﷺ في قوله: "**ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ**" مؤثرًا التعبير بالإتيان؛ لما تقتضيه دلالته من السهولة واليسر وسرعة نفاذ الفعل(٢)، وفي ذلك طلب صريح بالإحضار دون عناء أو مشقة وفق ما يقتضيه صغر سنها؛ ولذا آثر التعبير بصيغة الأمر الصريح لاتسامه بالوضوح؛ ومن ثم سرعة الإجابة، عضد ذلك بناء الفعل للمعلوم، وإسناده إلى ضمير الجمع، وإن كان يكفي في القيام به أحدهم، وكأن الجميع منوط بهم فعله مبالغة في العناية والاهتمام، وقد ضاعف ذلك إسناد الفعل إلى ضميره تشريفًا لها وترفقًا بها؛ إذ هو إتيان مخصوص بين يدي أرحم خلق الله، ومن شأن ذلك إدخال البشر والسرور عليها، وقد زاد الأمر بشرًا إيثار التعريف بالكنية " **بِأُمِّ خَالِدٍ** " دون العلم "**أمة**" جريًا على سنن العرب في

---

(١) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها، (٥٩٩٣) ٨/ ٧.

(٢) ينظر: الإتيان والمجي فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، محمود موسى حمدان، ١٧، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

النداء بالكنية استبشارًا وتلطفًا، يشهد لذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ "**إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»**"[١] ممازحًا الطفل الصغير، وقد تحقق الفعل وفق ما طلب ﷺ بدليل ما ورد في الموضع **الثالث** "**فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ**،".

ثم تبدى تلطفه **في حسن استقباله لها**، واستحسان قميصها الأصفر الذي كانت ترتديه في قوله: "**سَنَهْ سَنَهْ**" أي: حسنة بالحبشية[٢] تطييبًا لها، وقد آثر المصطفى ﷺ مخاطبتها باللسان الحبشي الذي تعرفه استمالة لقلبها؛ لأنها كانت ولدت بأرض الحبشة[٣]، واستدراجًا لممازحتها، وفتح أفق للمحاورة معها، فتتلاشى الرهبة، ويحل الأنس وسط هذا الموقف الجليل ذي الجمع الغفير.

ولفقهه الجيد بالمؤثرات الإيجابية التي من شأنها إشعار الطفل بالسعادة والبهجة روعي في بناء النظم حذف المسند إليه استجابة لمقام المدح[٤]، وتعجيلًا بما يبث هذا الشعور، عضد ذلك **التأكيد** المستفاد من التكرار في قوله: «**سَنَهْ سَنَهْ**» وكأن في ذلك امتدادًا في معايشة هذا الشعور، فضلًا عن إفادة المبالغة في مدحه والعناية بذلك[٥].

ومن جانب آخر نجد في ذلك انسجامًا بديعًا مع استحسانه ﷺ للخميصة التي سيهديها لها، وفي هذا تهيئة نفسية مناطها بث الشعور بالثقة والاعتزاز، أعان على ذلك بناء الكلمة على التنكير تعظيمًا لها[٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، (٦١٢٩) ٨/ ٣٠.

(٢) ينظر: فتح الباري ١٠/ ٢٨٠.

(٣) ينظر: الكواكب الدراري ٢١/ ٧٥، وعمدة القاري ٢٢/٥.

(٤) ينظر: علم المعاني ٧٨.

(٥) ينظر: المثل السائر، ٣/ ٤.

(٦) ينظر: الإيضاح١٠٠.

ولما استشعرت الصغيرة من الحبيب ﷺ أنسًا ولطفًا انساقت مسرعة وراء ما تمليه عليها غريزة الطفولة من اللعب وحب الاستطلاع، فذهبت تلعب بخاتم النبوة، وهو "ما كان مثل زر الحجلة بين كتفي رسول الله ﷺ"(١)، "**فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهَا»**.

وهنا تتجلى **المفارقة** العجيبة التي تحار أمامها العقول بين رد فعل الوالد وهي بضعة منه، ورد فعل المصطفى ﷺ التي كشف عنها الطباق الوارد في قولها: "**فَزَبَرَنِي... دَعْهَا**"، حيث لم يكن من الأب إلا محاولة كفها عن ذلك على وجه يحمل في طياته الزجر، والنهر، والتهديد، والمنع(٢)، إذ جاء الفعل ملفعًا برداء القسوة والعنف غاضًا الطرف عما يمتلك الصغيرة من مشاعر وأفكار "**فزبرني**"؛ ولذا آثر العطف بحرف التعقيب "**الفاء**" المشير إلى إسراعه في محاولة كفها عن فعلها توقيرًا واحترامًا للمصطفى ﷺ.

**بينما** جاء موقف الحبيب تشع منه أنوار الرحمة والتلطف معها ومع أبيها، إذ لم يَرُد تعنيفه لها بمثله، وإنما اكتفى بأمره بتركها "**دَعْهَا**" مطلقًا لها العنان المصحوب بالترفق والتودد، **متفوقًا** متجاوزًا حد الأبوة جاعلًا إرضاءها أولى وأحب؛ ولذا آثر التعبير بقوله: "**دَعْهَا**" مراعيًا في تركها عدم الاكتراث والاعتداد بما تفعله(٣)؛ لوقوعه موقع الرضا والقبول منه، قاصدًا من وراء ذلك التبرك بالخاتم كما ستتبرك بالخميصة، وهذا يدل على كمال حلمه، وكرمه، وحسن عشرته مع صحابته وذويهم(٤).

---

(١) منحة الباري ٦/ ١٨٤.

(٢) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٩/ ١٥، المطبعة الكبرى الأميرية، ط السابعة ١٣٢٣هـ.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (و د ع).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري،٩/ ٣٦٩٩، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

وقد أتى البناء **الصوتي** للفعل خير معين على إبراز ذلك بالترفق في نبرة الصوت مبتدئ بحرف شديد "**د**" يعقبه حرف بيني "**ع**" يليه حرف رخو مهموس "**ه**"(١)، مختومًا بحرف المد بالألف انعكاسًا لامتداها في الفعل، فضلًا عن حسن وقعه على الأذن على النقيض من قول أبيها.

ثم **يترقى** المصطفى ﷺ في إعلان استحسانه لقميصها بما يدخل عليها البشر والسرور، حيث دعا لها بالتنعم، وطول العمر جريًا على سننهم عند رؤية ما يعجب من اللباس، من خلال التعبير الكنائي الذي جاء على وجه مبالغ في قوله: "**ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي**"؛ ولذا آثر وصل أجزاء النظم بحرف العطف "**ثم**" ليفيد التراخي الزمني المستلزم طول المدة، فضلًا عن التراخي الرتبي.

كما راعي **تأكيد** الأمر الذي خرج إلى معنى الدعاء بطول البقاء للمخاطب حتى يبلى الثوب ويخلق(٢)، وتقويته بالتكرار الوارد ثلاث مرات على نهج سننهم مبالغة في الدعاء لها بطول العمر(٣) انعكاسًا لما يستشعره من رغبة ملحة في تحقيق ذلك، ومن جانب آخر اتخذ من ذلك سبيلًا لامتداد ملاطفتها وممازحتها ببسط الحديث، كما رام من وراء هذا التوكيد تسلط الدعاء لها على عموم ملبسها، وهذا ألصق بمضاعفة البشر والسرور.

وفضلًا عن دلالة التكرار على التوكيد يشير إلى الإشادة من أمر المؤكد عناية به(٤).

---

(١) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، محمد حسن حسن جبل، ٥٩، مكتبة الآداب القاهرة ط السادسة ٢٠١٠م.

(٢) ينظر: فتح الباري ١٠/ ٢٨٠.

(٣) ينظر: مرقاة المصابيح ٩/ ٣٦٩٩

(٤) ينظر: المثل السائر، ٣/ ٤.

ويتجلى التوكيد من جانب آخر يتمثل في عطف الإخلاق على الإبلاء[١] في قوله: «**أَبْلِي وَأَخْلِقِي**" مراعيًا في التعبير **بالإبلاء** امتداد المدة حتى يصير الثوب عتيقًا[٢]، أما التعبير **بالإخلاق** فقد أضاف إلى ذلك الإشارة إلى الأثر المترتب عليه، وهو تحقق الخرق والتمزيق على وجه تام بحيث يُفتقد معه الإصلاح[٣].

**وترقيًا** أشار النظم الوارد في الموضع **الأول** إلى دوام التمتع باللبس والاستبدال عند الإبلاء بإيثار التعبير **بالإخلاف** في قوله: "**وَأَخْلِفِي**" المقتضي تحقق البدل والعوض[٤]، وتلك مرحلة تالية، إذ "لا يكون الإخلاف غالبًا إلا عقب الإخلاق"[٥]، وقد استجيبت دعوته ﷺ فكانت من المعمرين، حتى قيل لم تعش امرأة مثل ما عاشت هذه[٦]، و"صار القميص شيئًا مذكورًا عند الناس لخروج بقائه عن العادة"[٧]، كما امتد ذكرها أيضا[٨].

**ويعتلي النظم سنام التلطف** بإماطة اللثام عما أغدقه المصطفى ﷺ على الصغيرة من موفور عنايته واهتمامه عازفًا على مخاطبة الوترين الوجداني والعقلي جامعًا بين **التلطف القولي والفعلي** حين تكفل ﷺ بإلباسها الخميصة، والدعاء لها، واستحسانها، حيث جاء في شأن إلباسها الخميصة " **فَأَخَذَ الخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا**"، و"**فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ** » مسندًا الأفعال إلى ضميره ﷺ تشريفًا لها لينبيء عن السمو بها وبمكانتها؛ لاختصاصها بهذا الصنيع الذي يخلد ذكرها إلى أن يشاء الله، "ولعل

---

(١) ينظر: عمدة القاري ١٥/ ٥، ومرقاة المصابيح ٩/ ٣٦٩٩.

(٢) ينظر: عمدة القاري ١٥/ ٥.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة ( خ ل ق).

(٤) ينظر: المرجع السابق مادة ( خ ل ف).

(٥) مرقاة المصابيح ٩/ ٣٦٩٩.

(٦) ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني، الساعاتي، ٢٢/ ٤٢٢، دار إحياء التراث العربي، ط الثانية بدون.

(٧) الكواكب الدراري ٢١/ ١٦٢.

(٨) ينظر: عمدة القاري، ١٥/ ٥، ومنحة الباري ٦/ ١٨٤.

سبب تخصيص **أم خالد** بهذِه الخميصة أنها كانت صغيرة –وهي جارية– فكانت طولها، أو لما علم بحاجتها إليها، فهي أشد حاجة إليها؛ لأنها قدمت من الهجرة، وإكرامًا لأبيها لسبقه في الإسلام"(١).

ضاعف ذلك **التأكيد** المستفاد من التعبير بقوله: "**بيده**"(٢) مع كون الأخذ لا يكون إلا باليد، وكذا الإلباس؛ لتأكيد مباشرته ﷺ للفعل بنفسه اهتمامًا وتطييبًا لها ولذويها، وقد ناسب ذلك إيثار التعبير بالأخذ "**فَأَخَذَ**" المقتضي التمكن من المأخوذ(٣)؛ لإقباله عليه، ورغبته في تحصيله، كما استوجب ذلك وصل أجزاء النظم بحرف التعقيب مسارعة إلى تحقيق ما يدخل السرور عليها.

وامتدادًا للبشر والسرور بهذه الهدية قرن بذلك الدعاء لها بطول العمر والهناءة على وجه مبالغ نحو ما مر في شأن القميص الأصفر جريًا على سننهم وعاداتهم عند اللبس الجديد، ويؤيد ذلك ما روي عن أصحاب النبي ﷺ أنه إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا قيل له: "**تبلي ويخلف الله تعالى**" (٤).

ثم **يرتسم** لنا خطوات المنهج الأمثل التي يجب أن يقتفى آثارها المتمثلة في ملاطفة البنت عند كسوتها بتطييب خاطرها باستحسان الخميصة كما سبق واستحسن قميصها، ولا منافاة في ذلك فقد حسنهما، ودعا لها بالإبلاء لهما(٥) راميًا من وراء ذلك بث الشعور بالفخر، ورد الجميل بتذكر وجه الإحسان دائمًا حيث جاء

---

(١) شرح سنن أبي داود، ابن رسلان، ت عدد من الباحثين بدار الفلاح، ١٦/(١٩٢: ١٩٣)، دار الفلاح الفيوم مصر، ط الأولى ٢٠١٦م.

(٢) ينظر: علم المعاني٤٠٩.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة ( أ خ ذ ).

(٤) ينظر: سنن أبي داود ٤/ ٤١.

(٥) ينظر: الكواكب الدراري٢١/ ٧٥، وعمدة القاري ٢٢/ ٥، والكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني، ت أحمد عزو عناية ٦/ ٧٣، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

"**فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «سَنَاهْ سَنَاهْ»**، و "**وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهْ»**، و "**قَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا»**.

وقد **كشف** بناء النظم عن كون تلك الخميصة كانت على درجة كبيرة من الحسن، فاستحوذت على إعجابه الشديد بها، فأراد أن ينقل إليها هذا الشعور فعلًا وقولًا مبالغة في تحصيل الأثر، وتتجلى مظاهر إعجابه الفعلي في انصرافه إلى النظر إليها، والمسح عليها، كما صادف التعبير بالفعل المضارع من النفس موقعًا؛ لاستحضاره تلك الهيئة المحببة الكاشفة عن تواضعه وحنوه وحسن تجاوبه مع الأطفال "**يَنْظُرُ، يَمْسَحُ، وَيُشِيرُ** ".

ولحرصه الشديد على ملاطفتها وممازحتها اتخذ من **المحاورة** سبيلًا لذلك؛ لاتسام الحوار بالهدوء واللين والوضوح، وفتح آفاق للمشاركة، حيث كانت صاحبة عقل وتمييز(١) "**وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي**"، و "**وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا...**"، ضاعف ذلك الاتكاء على أسلوب **النداء**؛ لاستلزامه إيقاظ النفس ولفت الذهن، فإذا جاء ما بعده صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة(٢)، كما لا يخفى ما في ذلك من التشريف بنداء المصطفىﷺ وحديثه معها؛ ومن ثم اقتضى المقام إيثار النداء بـ"**يَا**" الموضوعة للبعيد مع قرب الصغيرة منه إعلاءً لمنزلتها تنزيلًا للبعد المعنوي منزلة البعد الحسي(٣)، ولمزيد التنبيه إلى عظم ما تنادى من أجله، أعان على ذلك النداء بالكنية "**أُمَّ خَالِدٍ**" دون العَلَم تلطفًا واستدراجًا، فيزيد ذلك من أنسها وإقبالها.

---

(١) ينظر: عمدة القاري٢٢/ ٥، وفتح الباري ١٠/ ٢٨٠.

(٢) ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى ٢٥٦، مكتبة وهبة، ط الرابعة ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: الإيضاح وبهامشه بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عبد المتعال الصعيدي،٢/ ٢٧٥، مكتبة الآداب القاهرة، ط السابعة عشرة ٢٠٠٥م.

ومبالغة في لفت انتباهها إلى حسن تلك الخميصة آثر تعريف المسند إليه بالإشارة "**هَـذَا**" لتمييزه أكمل تمييز فضلًا عن تعظيمه(١)، وكأن مظاهر الحسن قد اجتمعت في تلك الخميصة فتميزت، وهذا من شأنه إدخال المسرة عليها، ضاعف ذلك تقرير المعنى إثر التوكيد بالتكرار لأداة النداء والمنادى ومما نوديت من أجله "**يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا**"، حيث يعكس شدة انفعاله وإعجابه بحسن تلك الخميصة، ورغبته الملحة في نقل ذلك إلى الصغيرة؛ لتزداد بشرًا وثقة، ومن جانب آخر يكشف ذلك عن حرصه الشديد على بسط الكلام معها لحسن وقعه، فتمتد الممازحة.

**ثالثًا: احتفاء المصطفى ﷺ بالبنت.**

أنزل المصطفى ﷺ البنت منزلة سامية، وكان أسوة حسنة يُقتدى بها في الاحتفاء بالبنت وتقريبها في **جميع مراحل عمرها**، حيث كان يدعو ابنته **فاطمة** بأم أبيها(٢)، وما ذلك إلا لقوة ما بينهما من وشائج، وخير شاهد على تكريمها حسن صنيعه معها عندما أقبلت لزيارته في مرضه الذي قُبض فيه، حيث غمرها بحفاوته وعنايته مع **تقدم سنها**، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **خمسة** مواضع:

**الموضع الأول: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ**

(١) ينظر: الايضاح (٤٤: ٤٦).

(٢) ينظر: المعجم الكبير، الطبراني، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي ٢٢/ ٣٩٧، مكتبة ابن تيمية ط الثانية بدون.

أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي». فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ(١).

**الموضع الثاني**: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ"(٢)

**الموضع الثالث**: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهَا " فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي، أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ"(٣).

**الموضع الرابع**: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ»(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب لمناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣٦٢٣) ٤/ ٢٠٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣٦٢٥) ٤/٢٠٤.

(٣) المرجع السابق، كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٣٧١٥) ٥/ ٢١٠

(٤) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، (٤٤٣٣) ٦/١٠.

**الموضع الخامس**: عن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ تَمْشِي، لاَ وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ»[(١)].

**واضح جلي** ما روعي بين نظم تلك المواضع من **الإجمال والتفصيل**، حيث تفاوتت في عرض الأحداث؛ ومن ثم نعتمد في التحليل النظم الوارد في الموضع **الخامس**؛ لكونه أكثر تفصيلًا وشمولًا، مع الإشارة إلى ما ينفرد به غيره.

نظرًا لامتلاك تلك البُنية شغاف قلب أبيها أحاطها بمظاهر الاحتفاء **قولًا وفعلًا** سالكًا مسلك **الترقي**، حيث **ابتدأ** ﷺ بما يستوجبه الإقبال من **حسن الاستقبال** الذي جاء على وجه مبالغ، الكاشف عنه ما جاء في: "**فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»**، حيث بناء النظم على **الشرط** المقتضي التلازم بين طرفيه، وكأن هذا سمت قائم ونهج معتمد، فضلًا عما يحدثه من إثارة وترقب؛ ومن ثم يتمكن المعنى

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر، (٦٢٨٥) ٨/٦٤.

في النفس ويتقرر، فيتحقق الإقبال والاقتداء، عضد ذلك العطف بحرف التعقيب "**الفاء**" يشهد لذلك قول السيدة عائشة – رضي الله عنها– تصف استقبال النبي ﷺ لابنته فاطمة – رضي الله عنها– عند مجيئها: "**كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا**"(١)، فمجرد رؤيتها بادرها بالترحيب فرحًا واستبشارًا، ومن جانب آخر تلطفًا بها، وإشفاقًا عليها، حتى لا يشق عليها برؤيته وهو على هذه الحال، ثم يرد تفسير هذا الترحيب في قوله: "**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**" مؤثرًا التعبير بقوله: "**مَرْحَبًا**" جامعًا بذلك بين الأثرين الحسي والمعنوي أي: "هيأنا لها مكانًا واسعًا وفرحنا بها فرحًا"(٢)، فضلًا عما تحمله تلك الكلمة من معنى الدعاء لها بالرحب والسعة(٣)، وهو تعبير يقال عند رؤية ما هو محبب تستأنس النفس به.

ومبالغة في التأكيد جاء التعبير بالمصدر "**مَرْحَبًا**"(٤)؛ ليعكس بذلك ما يمتلكه من شعور مفعم بالسعادة إثر رؤيتها، والاجتماع بها، والحديث معها.

وتوددًا عدل ﷺ عن التعبير بالعلمية إلى الوصف بالبنوة في قوله: "**بِابْنَتِي**"؛ لما يحمله في طياته من التودد والتلطف، حيث خاطبها بما هو محبب إلى قلبها؛ ولإظهار المزيد من مشاعر الأبوة الحانية الرقيقة المشفقة، لاسيما وقد أضاف الوصف إلى ضميره ﷺ تقربًا وإشفاقًا.

كما تقتضي دلالة تلك المادة الإشارة إلى التوجيه والإرشاد وإخلاص النصح(١)، وهذا ألصق بما سيلقيه على مسامعها من خبر يحتاج إلى الثبات وضبط النفس.

---

(١) سنن أبي داود، ت محمد محي الدين عبدالحميد باب ما جاء في القيام، ٤/ ٣٥٥،المكتبة العصرية صيدا، بدون

(٢) الكوكب الوهاج ٢٣/ ٦٠٧.

(٣) ينظر: شرح البخاري ابن بطال ٩/ ٣٣٤، وعمدة القاري ٢٢/ ٢٠٠.

(٤) ينظر: همع الهوامع ٢/ ١٣٨.

**وترقيًا** في التقدير والتشريف تجاوز المصطفى ﷺ الاحتفاء القولي إلى الاحتفاء **الفعلي** بتقريبها من مجلسه كشف عن ذلك قول السيدة عائشة تصف فعله ﷺ: "**ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ**"؛ ولذا جاء التعبير بحرف التراخي "**ثُمَّ**" ليفيد الترقي في الرتبة، ضاعف ذلك إيثار التعبير بالجلوس "**أَجْلَسَهَا**" لمراعاة معنى الاستقامة، والاستقرار وتحقق الراحة[٢]، وتلك الهيئة تستلزم التيقظ والانتباه، ولكون الجلوس لا يكون من قيام كالقعود[٣] فإن هذا التعبير يشير إلى أن المصطفى ﷺ عمد إلى تهيئتها حسيًا ومعنويًا، حيث آثر تغيير جلستها هيئةً ومكانًا عنايةً بها وتعظيمًا لشأنها لاسيما مع حضور جميع زوجاته بدليل قول السيدة عائشة: "**كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ**"؛ ولذا ترد تلك المادة عند قصد التعظيم نحو قولهم: "**جليس الملوك**"، و"**أجلسه بين يديه**"، ضاعف ذلك إسناد الفعل إلى ضميره ﷺ اهتمامًا وتشريفًا وتكريمًا.

**ومن تمام** ذلك إيثار تلك البنية " **أَجْلَسَ**" التي تتجلى فيها معاني الإعانة والتيسير؛ لإفادة الهمزة التعدية[٤]، وزادها أنسًا تحديد جهة الجلوس "**عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ**" كناية عن شدة القرب المنبيء عن رفعة المنزلة، حيث خصها بذلك المكان دون الحاضرات، ثم ازداد الأمر تخصيصًا بإفراد النبي ﷺ إياها بالإسرار "**ثُمَّ سَارَّهَا**" بدليل ما ورد في السياق "**خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا**" مراعيًا **الترقي** في الاحتفاء بدليل وصل أجزاء النظم بحرف التراخي "**ثم**".

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (ب ن ي).

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (ج ل س).

(٣) ينظر: الكليات ٧٢٨.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل المصري، ت محمد محي الدين عبد الحميد،٤/ ٢٦٣، دار التراث القاهرة، ط العشرون ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

ومبالغة في الأمر أوثر التعبير بالإسرار"**سَارَّهَا**"[١] إشارة إلى طبيعة ما يخبرها به، فهو أمر عظيم، كما روعي من جانب آخر ما يكسبه من الخصوصية باستلزامه الخفاء والكتمان، حتى لا يشاركها أحد في ذلك، أو يكون في صدره شيء بالنسبة إليها، كما يلمح إلى الأثر الذي قد يترتب عليه، وهو تحقق السرور، وهذا يتلاقى مع الإسرار الثاني.

وانسجامًا مع قصد التودد والتقريب جاء الفعل على بنية تقتضي المشاركة[٢]؛ ليتيح لها فرصة البوح بما تكنه بداخلها، فيخفف عنها وقع ما يخبرها به، "ويحتمل أن تكون للمبالغة أي: أخفى الأمر لها مبالغة في إخفائه عن سواها، ويؤيده كتمها له عن عائشة لما استفسرتها عنه"[٣].

ولما كان ما أسر به المصطفى ﷺ **أولًا** موجبًا للبكاء والحزن، وشق عليه ذلك هرع بإبدال حزنها فرحًا جريًا على السنن الربانية كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾[٤]؛ ومن ثم كان هذا الأمر موضع عجب واستغراب من السيدة عائشة بدليل قولها: "**مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ**"، وقد جاء في "**فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ**" مراعيًا فيه إبراز موفور شفقته ﷺ عليها، وحرصه الشديد على المسارعة إلى إذهاب ما انتابها من حزن؛ ولذا روعي في بناء النظم أسلوب **الشرط** مؤثرًا الأداة "**لَمَّا**" التي تدل على شدة الارتباط بين شرطها وجوابها، ويكثر أن يكون شرطها علة في حصول جوابها[٥]، عضد ذلك العطف بحرف التعقيب "**الفاء**" المشعر برغبته الملحة في دفع ما أصابها.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (س ر ر).

(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي، ت محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين،٩٨/١، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، البكري، اعتنى به خليل مأمون شيحا ٥/ ١٥٥، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٤) سور الشرح الآية (٦).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير٩/ ٩١.

ثم تجلى الأثر سريعًا على وجه مبالغ لحسن وقعه، وعظم تأثيره، وبدا ذلك في بناء النظم فجاء وصل أجزائه "**بالفاء**" التي تقتضي سرعة تحقق الأثر، وكأنه لم يستغرق سوى مجرد النطق بالحرف، وقد كشف عما غمرها من شعور بدَّل ما كانت عليه التعبير بـ "**إِذَا**" الفجائية، غير معتدة بما كان قبل ذلك؛ لعظم وقع ما أُخبرت به، حيث قصد الأب الحاني منحها مشعل سرور يخفف عنها وطأة ما هو قادم، بل ويذهب به؛ ولذا كان التعبير بالضحك دون غيره كالابتسام الذي هو أول مراتب الضحك(١)، بينما يقتضي الضحك ظهور الثنايا من الفرح، مشيرًا بذلك إلى الباعث فضلًا عن درجته المتمثلة في التعجب(٢)؛ وفي ذلك دلالة واضحة على عظم تأثير السبب الموجب، فهو أسمى ما تتوق إليه النفس.

ولقوة سيطرة هذا الشعور عليها روعي **تأكيده** بتقديم المسند إليه(٣) "**هِيَ**"، وإسناد الفعل إليها مرتين، ولما كانت تلك الحالة جديرة بالاستحضار آثر التعبير بالفعل المضارع "**تَضْحَكُ**" راسمًا بذلك صورة للمشهد الذي نتعلم منه فقه الأولويات، حيث غلبت عاطفة الأبوة بما تستلزمه من شفقة وحنو ما كان يعانيه من مرض.

**كذلك** تجلى الإشفاق والتلطف عند عرض ما أسر به إليها، حيث جاء في الإسرار **الأول** "**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**" متخذًا من **التوكيد** أداة لبث الشعور بالاطمئنان والثبات مراعيًا حالتها النفسية؛ ولذا بالغ في توكيد الخبر بـ "**إن ، واسمية الجملة، والقصر، وقد**" لتزداد استيثاقًا، وليجد بذلك مدخلًا لتهيئتها لتقبل هذا الخطب.

---

(١) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ت محمد باسل عيون السود ١/ ٦١، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، مادة (ض ح ك)، والمخصص، ابن سيده، ت خليل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٩٩٩م، مادة (ض ح ك).

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت محمود محمد شاكر، ١٢٨، مطبعة المدني القاهرة، ط الثالثة ١٩٩٢م.

وقد دفعته عاطفة الأبوة إلى بيان المنهج الأمثل الذي يجب أن تتبعه، وتسلك دروبه في قوله ﷺ: "**فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**" **متدرجًا** في التوجيه حيث ابتدأ بأمرها بتقوى الله "**فَاتَّقِي اللَّهَ**" التي تقتضي "صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"(١)، وذلك "بأن لا تفعل محرمًا من نياحة، وشق جيب، وغير ذلك مما يشعر بعدم الرضا والاعتراض على الأقدار"(٢)، وقد ناسب ذلك التعبير بعَلَم الذات "**الله**"؛ لاستجماعه معاني الأسماء الحسنى، وخاصة استحضار مدده وعونه لطلاقة قدرته، ولا يخفى ما في ذلك من الدعوة إلى الترفع عن صنيع أهل الجاهلية، فتكون بذلك مثالًا يُحتذى به.

ثم خصص من عموم ذلك الأمر بالصبر في قوله: "**وَاصْبِرِي**" "اهتمامًا بشأنه فهو واسطة عقد المأمور به حينئذ؛ لغلبة داعية الطبع إلى ما يترتب على الجزع غالبًا من التبرم والتضجر"(٣).

ولما كان ما أمرها به مما يشق على النفس وفقًا لمقتضياتها، ولعظم ما يتعلق به بادرها ﷺ بالتعليل؛ لتزداد ثباتًا وإقبالًا؛ "لأن النفس أقرب إلى قبول الأحكام المعللة"(٤)، ولمزيد من التثبيت بني التعليل على التوكيد؛ ليضفي عليه سمت التوثيق، وجاء موصولًا بالفاء راميًا بذلك تحفيزها على امتثال تلك الأسباب، وقد جاء التعليل على وجه يتوافق وطبيعة ما أمرها به "**فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**"، أي: "نعم السابق لك المهيئ لمصالحك والمخصوص بالمدح"(٥)؛ ولذا جاء التعبير بحرف **(اللام)**

---

(١) التعريفات ٦٥ .

(٢) دليل الفالحين ٥/ ١٥٦

(٣) المرجع السابق٥/ ١٥٦ .

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ٣/ ٩١، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ط الأولى ١٩٥٧م .

(٥) الكوكب الوهاج ٢٣/ ٦٠٥.

المشعر بتحقق النفع، لما فيه من الدلالة على الاختصاص(١)، كما يلمح منه سرعة لحوقها به، ولا يخفى ما في ذلك من إبراز كمال العناية بها، حتى لا يشق عليها؛ لأن "المرء لا يحب البقاء بعد محبوبه"(٢)، وقد تحقق إخباره ﷺ فكانت ــ رضي الله عنها ــ "أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه"(٣).

ويروق ويعجب بناء النظم في **الإسرار الثاني** الذي جاء يفيض بدلالات التلطف والاستبشار"**قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ**"، حيث اعتمد طائفة من الأساليب التي تتعاضد في إثارة التيقظ والانتباه كأسلوب **المحاورة** "**قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ** ..." الذي يتسم بالهدوء واللين، ومنح المخاطب فرصة التفكير والموازنة في العواقب، فيتراءى أمامها الجزاء المرتقب، فيهون عليها الأمر، ضاعف ذلك أسلوب **النداء** "**يَا فَاطِمَةُ** ..." بما يستلزمه من الاستحضار الذهني راميًا من وراء ذلك استجماع قوى الإدراك لديها، ناسب هذا الاهتمام إيثار أداة النداء "**يا**" الموضوعة للبعيد مع قربها منه مشيرًا بذلك إلى علو مكانتها في قلبه تنزيلًا للبعد المعنوي منزلة البعد الحسي(٤)، ومن جانب آخر آثر ذلك "للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنىّ به جداً"(٥)، فهي تنادى لأمر مهم، وبشارة عظيمة فلتجمع قلبها وعقلها لتلقي ذلك.

وكان من مقتضيات التحفيز والتمييز إيثار التعريف **بالعلمية** "**فَاطِمَةُ**" لقصد التعيين، واستحضار شخصه في ذهن السامع(٦)، فيوصد الباب أمام أدنى توهم أو لبس لو عبر بلفظ البنوة، فهو أنسب لما خُصَّت به.

---

(١) ينظر: اللباب في علل الإعراب والبناء، أبو البقاء العكبري، ت عبد الإله النبهان،١/٣٦٠، دار الفكر دمشق، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) عمدة القاري ١٦/ ١٥٤.

(٣) فتح الباري ٨/ ١٣٦.

(٤) ينظر: الإيضاح وبهامشه بغية الإيضاح،٢/ ٢٧٥.

(٥) الكشاف، الزمخشري ١/ ٨٩.

(٦) ينظر: علم المعاني، عبد الفتاح فيود،٩٢.

وتعاضد في إثارة التنبيه التعبير بأداة **الاستفتاح** "**أَلاَ**" المشعرة بأهمية وعظم ما يذكر بعدها؛ ليصادف من النفس موقعًا، فيتمكن منها فضل تمكن، وقد ناسب هذا المقام إيثار التعبير بالرضا بقوله: "**تَرْضَيْنَ**" المستلزم استقبال الأَحكام بالفرح، وسكون القلب تحت مجارى الأَحكام(١).

ثم زادها حبورًا بإماطة اللثام عن امتداد تميزها برفعة المنزلة في الآخرة كما كانت في الدنيا "**سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ**" مؤثرًا التعبير بقوله: "**سَيِّدَةَ**" الذي أتى في موضعه الأخص الأشكل به؛ لما تستلزمه دلالة المادة من التمييز والرفعة والشرف، حيث يطلق السيد على الشريف والفاضل والكريم والحليم(٢)، فهي مستجمعة من الصفات ما يؤهلها لنيل تلك المكانة التي تسود فيها وتترأس، وقد ناسب ذلك التعميم المستفاد من التعبير بـ "**نِسَاءِ**" لدلالته على الكثرة؛ إذ هو جمع المرأة من غير لفظه(٣).

وقد زادها شرفًا تمييز التابعين بوصفهم بالإيمان "**المُؤْمِنِينَ**" المقتضي التصديق والانقياد والإذعان(٤) انسجامًا مع ما أمرها به في قوله ﷺ: "**فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**"، ومع ما أخبرت به؛ إذ الوصول إلى تلك الدرجة نابع من تيقظ ويقين، وترقيًا قال: "**هَذِهِ الأُمَّةِ**" مؤثرًا التعريف باسم الإشارة الذي يقتضي تمييز المشار إليه أكمل تمييز، فضلًا عن تعظيمه(٥)، وبلغ الترقي مداه بما ورد في الموضع الأول "**أَهْلِ الجَنَّةِ** "، ولا يتنافى ذلك مع ما ورد في شأن فضل السيدة خديجة في نحو

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ت محمد علي النجار، ٨١/٣، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ط الأولى ١٤١٦ه/ ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة ( س و د).

(٣) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، ت يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت، ط الخامسة ١٩٩٩م، مادة (ن س و).

(٤) ينظر: تاج العروس ٣٤/ ١٨٦.

(٥) ينظر: الإيضاح (٤٤: ٤٦).

قولهﷺ: "**أفضل نساء أهل الجنة خديجةُ بنت خُويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيةُ بنت مُزاحم امرأةُ فرعون، ومريم ابنةُ عمران**"(١)، إذ لا مانع من تعدد السيادة باعتبارات مختلفة(٢).

**ومما تجدر** الإشارة إليه التنوع في بيان موجب البكاء والضحك بين المواضع، حيث نجد اتفاق المواضع في كون موجب البكاء الإخبار باقتراب أجلهﷺ، حيث جاء في الموضع **الأول**: «**إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي**».

وجاء في الموضع **الثاني**: " **فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ**".

وجاء في الموضع **الثالث**: " **فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ**"

وجاء في الموضع **الرابع**: «**سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ**".

وجاء في الموضع **الخامس**: " **فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**».

وقد انفرد النظم في الموضعين (الأول والخامس) بالتفصيل بالإشارة إلى كونها أول من يلحق بها من أهله، انسجامًا مع بناء النظم في الموضعين على التفصيل في عرض الأحداث، ولا منافاة في ذلك فالبكاء ترتب على الأمرين(٣).

أما بالنسبة إلى موجب الضحك فقد تمثل في الإخبار بسرعة لحوقها به، وهو ما أشار إليه النظم الوارد في المواضع(**الثاني، والثالث، والرابع**) حيث جاء على

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت أحمد محمد شاكر ٣/ ١٩٤، دار الحديث القاهرة، ط الأولى ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: الكوكب الوهاج ٢٣/ ٦٠٦ .

(٣) ينظر: اللامع الصبيح ١٠/ ٢٠٠.

الترتيب "**فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ**"،و" **فَأَخْبَرَنِي، أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ**"،و" **فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ أَتْبَعُهُ**"، بينما أشار النظم في الموضعين( **الأول والخامس**) إلى بيان علو مكانتها في الجنة مشاكلة لبناء النظم على التفصيل، حيث جاء"«**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ**»، و «**يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ**"، ولا منافاة بين ذلك، فقد ترتب الضحك على الأمرين(١).

(١) ينظر: اللامع الصبيح ١٠/ ٢٠٠، وفتح الباري ٨/ ١٣٦.

## المبحث الرابع

## أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بمنحها حق اختيار الزوج

حظيت البنت في الإسلام منذ نعومة أظفارها – بل منذ وجودها– بمنزلة سامية تنبيء عن رفعتها، ورفعة مكانتها في النفوس، وتقدير مشاعرها على النقيض مما كانت عليه ــ غالبًا ــ قبل ذلك، وأدل شاهد على هذا منحها حق اختيار الزوج الذي تقاسمه ملذات الحياة الزوجية، ومسئولياتها المتنوعة مما يسهم في بناء علاقة زوجية سوية ومستقرة، فضلًا عن توطيدها، وجعل هذا الصنيع موكولًا إليها، ومنوطًا بها يدل دلالة واضحة على تكريمها من جانبين:

**أحدهما:** الاعتداد بإنسانيتها بما تمتلكه من قدرة عقلية راشدة، وإرادة حكيمة، وعزيمة قوية.

**الآخر:** تقدير ميولها ورغباتها، وبمثل ذلك أدعى أن يؤدم بينهما.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **خمسة** مواضع:

**الموضع الأول: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ»**(١).

**الموضع الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلاَ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «إِذَا سَكَتَتْ»**(٢).

**الموضع الثالث: عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحِي؟ قَالَ: «رِضَاهَا صَمْتُهَا»**(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، (٥١٣٦) ١٧/٧، وكتاب الحيل، باب في النكاح (٦٩٧٠) ٢٥/٩.

(٢) المرجع السابق، كتاب الحيل، باب في النكاح (٦٩٦٨) ٢٥/٩.

(٣) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، (٥١٣٧) ١٧/٧.

**الموضع الرابع:** عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهْيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَرَدَّ نِكَاحَهُ»(١).

**الموضع الخامس:** حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ابْنُ أَبِي عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الحَسَنِ،{فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لاَ وَاللَّهِ لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لاَ بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ: {فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ»(٢)

**أول** ما يلفت الانتباه أن سلب حق اختيار الزوج جاء في **صورتين**: إحداهما: إكراهها على الزواج بمن لا ترغب وهو ما أشار إليه النظم في المواضع **الأربعة** المتقدمة، **وأخراهما:** منعها من الزواج بمن ترغب، وهو ما أشار إليه النظم في الموضع **الخامس**؛ ولذا تقرن المواضع المتصلة بالصورة الأولى معًا في الدراسة، ويبتدأ بها.

**مما يلفت** أيضًا ما روعي بين نظم تلك المواضع من **تدرج زمني**، حيث اتفق النظم في المواضع **(الأول والثاني والثالث)** في الإشارة إلى مرحلة تسبق عقد النكاح، بينما انفرد النظم في الموضع **(الرابع)** بالإشارة إلى مرحلة تالية؛ ومن ثم تقرن تلك المواضع المشتركة في الدراسة، ولاتسام النظم الوارد في الموضع **الأول** بكونه أكثر شمولًا وتفصيلًا **نعتمده** في التحليل، حيث يتجلى فيه تسليط الضوء على إبراز رفعة مكانة البنت في النفس، والاعتداد بكينونتها من خلال الإشارة إلى ضرورة توفر القبول والرضا؛ ولذا وضع المصطفى ﷺ نصب عينيه تقرير هذا

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود (٥١٣٨) ٧/ ١٨.

(٢) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي، ( ٥١٣٠ ) ١٦/٧.

المعنى وترسيخه، فجاء في صورة خبرية مبرزًا إياه في صورة الواقع المحقق؛ ليوصد الباب أمام أدنى مخالفة غايتها عدم الاعتداد برضاها، أو جبرها على ما تكره تجنبًا لما قد يترتب على ذلك من أضرار جسيمة- حسية ومعنوية- تلحق بها.

**عضد** ذلك بناء الخبر على النفي الذي يحمل في طياته النهي في قوله: "**لاَ تُنْكَحُ...**"؛ لأنه أبلغ وآكد[١] في الاهتمام بشأن الخبر المنفي، وتحقيق امتثاله، ومن جانب آخر يشيرً بذلك إلى النهي عن مجرد التفكير في الأمر على وجه مشدد.

واحتفاءً بها آثر المصطفى ﷺ تسليط النفي على النكاح في قوله: "**لاَ تُنْكَحُ...**"؛ لاستلزام دلالته الإشارة إلى العقد، وما يترتب عليه من وطء وغيره[٢]، فاتحًا أمام الأذهان دروبًا متعددة تستوجب توفر القبول والرضا ابتداءً من عقد النكاح، وجاء التعبير بالفعل المضارع للدلالة على تجدد نفي ذلك الأمر على تنوع صوره وأشكاله، وفي ذلك تحذير من مغبة المخالفة؛ لعظم الآثار الضارة المترتبة على ذلك.

ومن مظاهر التقدير روم التعميم الذي تعددت وتنوعت آلياته، فيطالعنا النفي بـ "**لاَ**" التي تفيد النفي في جميع الأحوال[٣]، وكذا بناء الفعل للمجهول في قوله: "**تُنْكَحُ** "؛ ليشمل جميع من يلي أمرها من والد، أو جد، أو عم، أو خال، أو أخ، أو غيرهم بدليل ما جاء في الموضع **الخامس** "**زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي**"، ولا يخفى ما في ذلك من شحذ الهمم، واستنهاض العزائم ليكونوا سواء في إحاطتها بالرعاية والعناية والتكريم على اختلاف درجة قربهم منها.

---

(١) ينظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام، المغربي، ت علي بن عبد الله الزين، ٧/ ٦٧، دار هجر، ط الأولى ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة ( ن ك ح).

(٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ت عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي ٢٠/١،هجر للطباعة والنشر ط الأولى ١٩٩٠م.

ومن تمام المناسبة المشاكلة القائمة في نهج البناء بين هذا الفعل وبين الفعلين "**تُسْتَأْمَرَ، تُسْتَأْذَنَ**"؛ لاستدرار التلطف واللين بإعطاء الفسحة لمن هو إليها أقرب، وبه تأنس.

ويتجلى التعميم في إيثار التعريف بـ "**ال**" الجنسية[1] في قوله: " **الأَيِّمُ، البِكْرُ**"؛ لينصرف الحكم إليها دون التقيد بزمان معين، أو مكان محدد، أو شخص بعينه متى توفرت تلك الصفة، ومن شأن ذلك بث الشعور بالاطمئنان والسرور والفخر.

ومبالغة في التحفيز والتقدير جاء النظم وفق نسق بديع روعي فيه الوصل بين أجزائه، وكأن كل حال جدير بانصراف الهمة إلى العناية به؛ ولذا أتى **التأكيد** بتكرار حرف النفي والفعل في قوله: "**لا تُنكَح**" متمكنًا في موضعه.

ولاتساع أفق العناية بأمرها استعان المصطفى ﷺ بأسلوب **المقابلة** مستحضرًا في الأذهان – بطرفيها– الأحوال التي يدور في فلكها عقد النكاح عند البنت، "**لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ**"، وكأنه بذلك يدفعهم دفعًا حثيثًا إلى إحاطتها بالرعاية والتكريم في جميع أحوالها، فمكانة البنت عند ذويها لا تتغير بتغير أحوالها.

وقد روعي في بناء المقابلة الجمع بين معنيين ومقابلتهما بآخرين، حيث قابل ابتداءً بين **الأيم والبكر** مراعيًا بين طرفي المقابلة التركيز على الصفات الاجتماعية التي تتوافق مع الحالة النفسية التي لها أثر بين في عقد النكاح؛ لما يترتب عليها من فوارق نفسية متعددة، إذ المقصود **بالأيم** من النساء التي لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا، مطلقة أو متوفى عنها زوجها[2]، مراعيًا في ذلك التنوع في صور فقدان الزوج، **والمراد** هنا الثيب التي فارقت زوجها بموت أو طلاق لمقابلتها بالبكر من

(١) ينظر: شرح التسهيل، ناظر الجيش، ت علي محمد فاخر وآخرون ٥/ ٢٥٤٦، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة ( أ ي م).

جانب، ومن جانب آخر تفسيرها بالثيب في الموضع **الثاني**[١]، كما يراعي في التعبير بالأيم معنى التأخر أو الانقطاع[٢].

والمقصود **بالبكر** من النساء التي لم يقربها رجل، كما يلمح ذلك أيضًا إلى استجماعها كثير من الصفات المرغوب فيها حسيًا ومعنويًا كالسبق، والقوة، والسرعة، والنضارة[٣].

وتتجلى **المقابلة** عند بيان الآلية المعتبرة في معرفة الرضا وفق مقتضيات حالتها النفسية والاجتماعية، حيث جاء الاستئمار في جانب الأيم في قوله: "**تُسْتَأْمَرَ**"؛ لما يتطلبه من التصريح برأيها وقبولها على جهة المشاورة المؤكدة المقتضية إبراز جوانب الصلاح[٤]، وفي ذلك مراعاة للأثر المترتب على ما مرت به من تجارب وخبرات.

على الجهة **المقابلة** جاء التعبير في جانب البكر بقوله: "**تُسْتَأْذَنَ**" المكتفى في تحققه بمجرد الإعلام[٥]، وهذا أنسب لطبيعتها المقتضية وفرة الحياء كما أشار إلى ذلك النظم الوارد في الموضع **الثالث** في قول السيدة عائشة: "**يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحِي**"[٦]، بخلاف التعبير بالأمر الذي لا يعرف إلا بالنطق[٧]، فضلًا عن إشارة الإذن إلى ضرورة تحقق الملاطفة واللين والترحيب في الطلب والوعي[٨].

---

(١) ينظر: عمدة القاري ٢٤/١١٧.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة ( أ ي م).

(٣) ينظر: المرجع السابق مادة ( ب ك ر).

(٤) ينظر: لسان العرب مادة (ش و ر)، وفتح الباري ٩/ ١٩٢.

(٥) ينظر: لسان العرب مادة ( أ ذ ن).

(٦) ينظر: مرقاة المفاتيح ٥/ ٢٠٥٩، والبدر التمام ٧/ ٦٧.

(٧) ينظر: كشف المشكل ٣/ ٣٨٨.

(٨) ينظر: : لسان العرب مادة ( أ ذ ن).

وقد روعي في بناء الفعل في طرفي المقابلة صيغة الطلب "**تُسْتَأْمَرَ، تُسْتَأْذَنَ**" مبالغة في الترفق في تحصيل الفعل(١)، وكان من تمام ذلك إيثار التعبير بالفعل المضارع؛ ليفسح المجال لتصور هيئة وقوع الفعل على اختلاف صوره ودرجاته؛ لاختلاف أحوال البنت وطبائعها.

ولما كانت النفس البشرية مجبولة على التطلع والتشوق إلى معرفة ما يلوح لها منه طرف من العلم، وكان التعبير بالاستئذان يحمل في طياته مطلق الإعلام؛ ومن ثم أصبح مدعاة للتساؤل أتى الجواب مفسرًا وموضحًا على وجه لا يدع مجالًا للبس أو الخلط "**أَنْ تَسْكُتَ**"، وجاء بناء النظم على وجه يحقق ذلك، حيث تبدى الإيجاز بحذف المسند إليه، إذ التقدير "**إذنها أن تسكت**" اختصارًا(٢)، وللإسراع إلى ذكر ما يثلج صدورهم، وقد أوثر التعبير بالمصدر المؤول من أن والفعل رغبة في تصور الفعل بكل صوره، وبيان أن هذا الأمر متجدد مع كل بنت.

ولوعيه الدقيق ﷺ وإدراكه الجيد بخبايا النفوس وطبائعها، وما يحيط بها من أحوال أتى النظم في الموضع **الثاني** "**إِذَا سَكَتَتْ**" ليميط اللثام عن فصل القول، فسكوتها لابد أن يكون محققًا؛ ولذا جاء التعبير بأداة الشرط "**إِذَا**" التي ترد فيما هو مقطوع به(٣)، **ضاعف** ذلك التعبير بصيغة المضي تحقيقًا للفعل.

ومن تمام المناسبة مجيء التعبير بالسكوت في قوله: "**سَكَتَتْ**" توافقًا مع التعبير بالاستئذان من جهة استلزامه ترك الكلام مع القدرة عليه، فقد قطعت حديثها بالسكوت(٤)، وكأن حياءها يلجمها ويمنعها النطق، ويتناسب **بالتقابل** مع التعبير بالاستئمار من جهة استلزامه النطق(٥).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٠/ ١٢٢.

(٢) ينظر: الإيضاح ٣٨.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم ٢٤١.

(٤) ينظر: الكليات ٥٠٩.

(٥) ينظر: سبل السلام ٢/ ١٧٤

ومن جهة أخرى يتوافق مع طبيعة البكر باستلزامه الدلالة على السكون[١]، وكأن في ذلك انعكاسًا لما يسيطر عليها من الشعور بالرضا والطمأنينة والسرور.

أما في الموضع **الثالث** فقد جاء التعبير بالصمت في قوله ﷺ: "**رِضَاهَا صَمْتُهَا**"، وهو أبلغ من السكوت؛ لأنه قد يستعمل فيما لا قوة له على النطق، مراعيًا في ذلك الإشارة إلى طول السكوت[٢]، وهذا أنسب للتعبير بالرضا المقتضي تمام الأمر وسكون القلب، واستقباله بالفرح والسرور[٣] إذ يزيد ذلك من حيائها.

**ويأتي النظم** في الموضع **الرابع** مشيرًا إلى مرحلة تالية لعقد النكاح تتجلى فيها محاولة المصطفى ﷺ رفع الضرر الواقع على البنت إثر ما أُكرهت عليه من الزواج بمن لا ترضاه "**فَرَدَّ نِكَاحَهُ**"، ولا يخفى ما يحمله في طياته من **التأكيد** لما ورد في المواضع السابقة.

جاء بناء النظم كاشفًا عن حرصه ﷺ وحسمه في معالجة الأمر رعاية لمصلحتها؛ ومن ثم روعي بناء النظم على الوصل بحرف التعقيب المشعر بسرعة استجابته، ورغبته الملحة التي تدفعه دفعًا إلى إصلاح أمرها راميًا من وراء ذلك بث الشعور بالرفض والنفور من سلوك هذا المسلك؛ ولذا آثر التعبير بالرد "**رَدَّ**" المشعر بالعلة المتمثلة في تحقق معنى الكراهية[٤]، وهذا ألصق بما كانت تعاني منه البنت من افتقاد الرضا بهذا العقد.

وقد أعان جرس الكلمة بشدة وقعه على إبراز ما كان يتغلغل بداخل نفس المصطفى ﷺ من رفض ونفور محققين بدليل التشديد في حرف الدال، وجعل الرد منوطًا بعقد النكاح؛ ليشمل رد ما يترتب عليه، وفي إسناد النكاح إلى ضمير الأب دعوة إلى عدم امتثال مسلكه؛ لكون فعله منبع الرد مبالغة في التنفير.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة ( س ك ت).

(٢) ينظر: تاج العروس مادة (ص م ت).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز٣/ ٨٤.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ١١٤.

**أما النظم** الوارد في الموضع **الخامس** فقد كان عماده الإشارة إلى صورة أخرى يتجلى فيها سلب حق اختيار الزوج بمنعها من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك، ورغب كل واحد منهما في صاحبه[١]، حيث أقر النبي ﷺ صنيع الصحابي **مَعْقِل بن يَسَار**، بعد عزمه على منع أخته من الزواج بمن تريد **بالنزول** على رغبتها اعتدادًا بمكانتها، وحفظًا لحقها، ودفعًا للظلم والعدوان كشف عن ذلك فعله: «**فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ**» مؤثرًا التعبير بحرف التعقيب المتضمن معنى السببية لورود التحريم في قوله تعالى: **{فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ}**[٢]، والمشعر من جانب آخر بسرعة استجابته، وكأن هناك قوة تدفعه دفعًا، ناسب ذلك التعبير بقوله: "**فَزَوَّجَهَا**" قاصدًا من وراء ذلك تمام الأمر لضمان اجتماعهما واستقرارهما بالاقتران[٣]، أعان على ذلك التعبير بصيغة التضعيف مبالغة في إبراز عنايته واهتمامه بتحقيق الأمر؛ لاقتضائه القيام على الشيء[٤]؛ ولذا أسند الفعل إلى ضميره ﷺ تصديقًا لقوله: "**الآنَ أَفْعَلُ**"، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في تطييب قلبها، وجبر خاطرها بجعل من كان سببًا في حزنها، وإلحاق الضرر بها هو من يتكفل بتوفير سبل السعادة والاستقرار، وقد زادها حبورًا واطمئنانًا إيثار التعبير بالضمير المنفصل في قوله: "**إِيَّاهُ**" لتأكيد تزويجها من هذا الشخص المخصوص المرغوب فيه.

---

(١) ينظر: المغني، ابن قدامة ٧/ ٢٤، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٣٢).

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (ز و ج).

(٤) ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، ١٢٩، مكتبة لبنان ط الأولى ١٩٩٦م.

## المبحث الخامس

## أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالعدل بينها وبين إخوتها في العطية.

لم يتوقف تكريم المصطفى ﷺ للبنت عند حد الإحسان المعنوي على تنوع صوره وآلياته، وإنما جمع إلى ذلك الإحسان المادي الذي من أجلِّ مظاهره تحري العدل القائم على المساواة بينها وبين الولد (الذكر) في العطية اعتدادًا بمكانتها، وتطييبًا لخاطرها، فهي القنطرة التي يصل بها المحسن إلى أعلى الجنان، مرافقًا النبي العدنان، وتستر عنه لهب النيران، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في **ثلاثة** مواضع دارت في فلك تخصيص الصحابي بشير بن سعد ﷺ ابنه النعمان بعطية دون إخوته وموقف النبي ﷺ من ذلك الصحابي:

**الموضع الأول: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاَمًا، فَقَالَ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَارْجِعْهُ»**(١).

**الموضع الثاني: عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ**(٢).

**الموضع الثالث: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي بَعْضَ المَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لاَ أَرْضَى حَتَّى**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئًا، (٢٥٨٦) ٣/ ١٥٧.

(٢) المرجع السابق، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئًا، (٢٥٨٧) ٣/ ١٥٨.

**تُشْهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلاَمٌ، فَأَتَى بِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ المَوْهِبَةِ لِهَذَا، قَالَ: «أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأُرَاهُ، قَالَ: «لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ»**(١).

**مما يلحظ ابتداءً** أن الإشارة إلى مساواة البنت للولد في العطية لم ترد صريحة في تلك المواضع، وإنما وردت ضمن عموم الإشارة إلى ضرورة توفر العدل بين الأولاد؛ **لشمول دلالة لفظ الولد الذكر والأنثى**(٢)، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾(٣)، ومن حسن الطالع أن الصحابي بشيرًا ﷺ لم يكن له من الأولاد سوى **النعمان** ﷺ الذي خصه بالعطية، وبنت اسمها **أُبَية**(٤).

**كما** يلحظ في بناء تلك المواضع **التكامل** في عرض المنازع والدوافع التي تستوجب تحقيق الغاية المنشودة المتخذ من **التوكيد والتقرير** عمادًا وسندًا.

ولما كان مناط التكريم متمثلًا في تحقيق المساواة بين البنت والولد في العطية روعي في بناء النظم في المواضع الثلاثة تسليط الضوء على منابع ذلك مستدعيًا في المخاطب قوى الإدراك الوجدانية والعقلية وفق نسق تركيبي بديع اعتمد ألفاظًا وتراكيب أجدر بتحقيق المطلوب من ذلك:

الاستعانة بأسلوب **المحاورة** أداة لاستدراج المخاطب والأخذ بيده نحو الصواب؛ لما له من أثر عميق في النفس؛ لاتسامه باللين والهدوء والبعد عن العنف، وفتح نوافذ التفكير المنطقي في موجبات المساواة بين الأولاد، فضلًا عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٢٦٥٠)٣/١٧١.

(٢) ينظر: المخصص، ابن سيده ٤/ ١٤٤، والكليات ٩٤٤ م.

(٣) سورة النساء الآية (١١) .

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى ٣/ ٤٠٢.

تقارب وجهات النظر، وتفهم الأفكار نحو قوله: " **فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي... قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ**".

ضاعف ذلك اعتماد أسلوب **الاستفهام**؛ لما يستلزمه من إثارة الانتباه، وقدح الأذهان، وانصراف جل الاهتمام إلى ما يستفهم عنه، ومنح فرصة التفكير راميًا من ورائه الاستخبار(١) على جهة التصديق مستحضرًا دعائم صحة العطية، حيث كان مناط السؤال تحقق المساواة في العطاء بين الأولاد من عدمه؛ ولذا وضع ﷺ نُصب العين اختيار ألفاظ مفادها العموم نحو: "**كُلّ**(٢)،**وسَائِرَ**(٣)،**و وَلَدِ**(٤)"، وكذا إيثار التعبير بالمثل" **مِثْلَهُ، مِثْلَ هَذَا** " الذي يقتضي التساوي بين الطرفين(٥).

وعزفًا على الوتر الوجداني أتت الإضافة إلى ضمير المخاطب في موضعها الأخص الأشكل بها في قوله في **الموضعين** الأول والثاني: "**وَلَدِكَ**"، وكذا دخول حرف الجر على ضميره في **الموضع** الثالث في قوله: "**أَلَكَ**" مفجرًا ينابيع الأبوة وفق ما تقتضيه الفطرة السوية من غرس جذور ما يؤلف بين قلوب أولاده، ويوطد علاقاتهم، والنفور مما يثير الضغائن، ويشعل فتيل العداوة، فيتراءى أمامه ما يترتب على تحقق العدل بينهم من صلاح، وما يجره انعدامه من ويلات.

ومع ذلك اختلفت تلك المواضع في المسئول عنه، كشف عن ذلك اختلاف مدخول همزة الاستفهام، حيث تسلط الاستفهام في الموضع **الأول** على المفعول "**أَكُلَّ**..." انسجامًا مع ما عرض من الإشارة إلى تمييز ابنه النعمان، وتخصيصه بالعطية في قوله: "**إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا...**"، بينما تسلط الاستفهام في الموضع **الثاني**

---

(١) ينظر: إرشاد الساري٤/ ٣٤٤م .

(٢) ينظر: اللمحة في شرح الملحة، ابن الصائغ، ت إبراهيم بن سالم الصاعدي،١/ ٢٨٥،عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر: الصحاح، الجوهري مادة (س و ر).

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ٢٨٢.

(٥) ينظر: الكليات ٨٥١.

على الفعل في قوله: "**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا...**" تناسبًا مع بناء عرض الحدث، حيث مدار الأمر على العطية بدليل افتتاح العرض بقول النعمان: "**أَعْطَانِي**"، أما في الموضع **الثالث** فكان مناط الاستفهام التحقق من وجود أولاد غيره، وجعل ذلك مدخلًا موجهًا إلى الصواب "**أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟**" تلاقيًا مع محور عرض الحدث الذي دار حول الإشهاد على العطية.

ومما يأخذ بالألباب **التشاكل اللفظي** المراعى في كل موضع، حيث جاء في الموضع **الأول** "**إِنِّي نَحَلْتُ... أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ**"، وجاء في الموضع **الثاني** "**أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً... إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي... أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ**"، وفي الموضع **الثالث** ورد "**حَتَّى تُشْهِدَ النَّبِيَّ... لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ**" قاصدًا بذلك لفته من وراء حجاب إلى ضرورة تحري التشاكل بين الأولاد **في الفعل** "العطية".

ولما أماط اللثام عن كون تلك العطية قد حادت عن جادة الصواب، وكانت عاطفة الأبوة تقتضي تحقيق ما يقيم التوازن النفسي بين الأولاد؛ لضمان دوام الألفة بينهم بادره ﷺ ببيان المنهج الأمثل الأجدر بالاتباع على وجه متكامل مراعيًا في بنائه **الإجمال والتفصيل**، إذ أشار النظم في الموضع **الأول** إلى الأثر المترتب في صورة مجملة دون التصريح بموجبه في قوله: "**فَارْجِعْهُ** " تناسبًا مع التصريح بتمام نفاذ الفعل دون ذكر أمر الإشهاد عليه، وكذا نوع العطية في قوله: "**غُلَامًا**"، وقد تعاضدت أجزاء النظم مادة وبنية على إبراز سرعة تحقق الفعل، فأوثر العطف بحرف التعقيب "**الفاء**" كاشفًا بذلك عن ضرورة تحقق السرعة في إجابة الأمر، ودرء باب الفتنة، أعان على ذلك التعبير بصيغة الأمر الصريح؛ لأنه أدعى إلى الإجابة لوضوحه، ومن ثم تحقق الإسراع في إنجاز الفعل، ناسب ذلك إيثار التعبير بالرجوع "**فَارْجِعْهُ**" المقتضي العود إلى ما كان منه البدء على وجه السرعة[1]،

(١) ينظر: المفردات ٣٨٥، ولسان العرب مادة ( ر ج ع).

ووجه إرجاع العطية ما فيها من ظلم الآخرين من الأولاد؛ ومن ثم يقع في خواطرهم لوالدهم بغض وعقوق، ويقع بينهم بغض وعداوة [١].

ومما له بذلك نسب وصلة إيثار التعبير بضمير الغيبة في قوله: "**فَارْجِعْهُ**" إشارة إلى انصراف الهمة عن العطية، إذ يجدر بها أن تذهب في مدارج الرياح كأن شيئًا لم يكن، وهذا أدعى لإزالة أدنى تعلق بها.

أما النظم في الموضع **الثاني** فقد روعي فيه التفصيل والتصريح بسبب الرجوع في العطية توافقًا مع التفصيل في عرض أحداث الواقعة، سالكًا مسلك **التدرج** في التوجيه "**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ** "، حيث ابتدأ المصطفى ﷺ بالتهيئة النفسية في قوله: "**فَاتَّقُوا اللَّهَ**" مؤثرًا التعبير بالتقوى التي تقتضي "ترك الإصرار على المعصية"[٢]، ويتحقق بها "صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"[٣] مانحًا إياه فرصة التفكير والمراجعة، ملمحًا إلى عاقبة الاستمرار على هذا الصنيع، ضاعف ذلك إيثار التعريف بعلم الذات "**الله**"؛ لما يستلزمه من تربية المهابة، وبيان طلاقة الاقتدار، ومن جانب آخر يقتضي باستجماعه معاني الأسماء الحسنى الإشارة إلى أن العدل بين البنت والولد في العطية حكم مشروع وفق ما اقتضته حكمة الله تعالى.

ولمزيد من التهيئة أوثر التعبير بضمير الجمع في قوله: "**فَاتَّقُوا، وَاعْدِلُوا**" للتعميم في الحكم مرتسمًا بذلك قاعدة كلية تُعتمد في كل زمان ومكان، فيضمن بذلك تكريم البنت بالمساواة بينها وبين إخوتها مهما اختلفت الأماكن، وتعددت الأزمان، ولا يخفى ما في ذلك من التحفيز بجعل فعل الصحابيﷺ موضع اقتداء، بدليل استحضار ولده له وروايته.

---

(١) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري، ت لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ٣/ ٥١٧، دار النوادر الكويت، ط الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٢) الكليات ٢٩٩.

(٣) التعريفات ٦٥ .

**كما** يراعى في التعميم جانب آخر يتمثل في تجاوز التوجيه حد الأب إلى من يقوم مقامه كالأم أو الأخ أو الجد؛ حيث يترتب على مجانبة العدل ما لا يحمد من المفاسد والأضرار.

ولما استشعر المصطفى ﷺ من المخاطب تجاوبًا وإقبالًا تدرج إلى التصريح بالمطلوب على وجه يضمن تحققه على أتم وجه في قوله: "**وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**" مؤثرًا التعبير بصيغة الأمر الصريح، وكذا التعبير **بالعدل** المقتضي التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط(١) مستدعيًا بذلك المقياس الوجداني والعقلي، كما تجد في اختيار التعبير بهذا اللفظ محاولة لتحريك وجدانه، وإيقاظ ذهنه ببيان أنه بامتثاله الأمر يكون منصاعًا لأمر الله الوارد في قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**"(٢)، فيزداد إقبالًا وتجاوبًا.

والمقصود بالعدل تحقق التسوية بين الأولاد الذكور والإناث(٣)، يشهد لذلك قوله ﷺ: "**سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ**"(٤)، **وقوله** ﷺ: "**سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُسَوُّوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ** "(٥) ولا تعارض بين ذلك وبين ما يكون في الإرث من كون للذكر مثل حظ الأنثيين؛ لأن "الوارث راضٍ بما فرض الله له بخلاف هذا، وبأن الذكر والأُنثى إنما يختلفان

---

(١) ينظر: تاج العروس ٩/ ٣٧.

(٢) سورة النحل الآية (٩٠).

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٧/ ١٠٠، وعمدة القاري ١٣/ ١٤٦، ومرقاة المفاتيح ٥/ ٢٠٠٨.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي، ت محمد عبد القادر عطا، باب السنة في التسوية بين الأولاد في العطية،٦/ ٢٩٤(١٢٠٠)، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٥) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، ت شعيب الأرنؤوط، ١٢/ ٧٢، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

في الميراث بالعصوبة أما بالرحم المجردة فهما سواء كالأخوة والأخوات من الأم، والهبة للأولاد أمر بها صلة للرحم"[١].

ومن تمام الأمر بناء النظم على حذف المفعول لقصد التعميم[٢]؛ لتذهب النفس في ذلك مذاهب متعددة ومتنوعة، فيلتزم التسوية بينهم في كل شيء من وجوه البر الحسية والمعنوية.

عضد ذلك التعبير بالبينية في قوله ﷺ: "**بَـيْنَ**" التي تقتضي الملابسة والتخلل[٣]، وفي ذلك دعوة إلى ضرورة امتثال ذلك في جل الأمور ودقيقها، ناسب هذا التعميم المستفاد من التعبير بـ "**الأولاد**".

ومما له أثر بين في وضع هذ الأمر نُصب العين إيثار التعبير بالأولاد "**أَوْلَادِكُمْ**" الذي يقتضي الإشارة إلى الولادة، ولا يقتضيها الابن[٤]، وإضافته إلى ضمير المخاطب تحريكًا لعاطفة الأبوة التي تقتضي الحرص البالغ على تحقيق ما فيه صلاح أولاده باستدعاء الرابطة التي تجمعهم، فهم بضعة منه، يسعده ما يسعدهم، **كما** يلفتهم ذلك إلى أن ما يلحق الأبناء من منافع إثر تحقق العدل بينهم يعود إليهم أيضًا، ولا يخفى ما في ذلك من التحفيز، وشحذ الهمم، والسمو بما يصدر عنهم حيال أبنائهم.

ومن جانب آخر تجد في التعبير بالولد انسجامًا مع نهج النسق القرآني حيث لم يرد بالتعبير بالابن في مقام الفرائض والعطايا، وإنما كان التعبير بالولد[٥] مراعيًا مراعيًا في ذلك السبب الموجب وهو الولادة.

---

(١) إرشاد الساري٤/ ٣٤٤.

(٢) ينظر: الإيضاح ١١١.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (ب ي ن)

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ٢٨٢ .

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (١٦٧: ١٧٠) دار الحديث القاهرة، ط الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

وقد أسفر ذلك عن قناعة الصحابي ﷺ وتجاوبه، فلم يكن منه إلا سرعة الاستجابة بدليل قول ولده النعمان: "**فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ**" مؤثرًا التعبير **بالرد** ليعكس ما صار إليه وقعها في نفسه؛ لاقتضاء التعبير بالرد كراهة المردود(١).

**ويأتي** النظم في الموضع **الثالث** مسلطًا الضوء على بيان حقيقة هذا الفعل، بعرضه في صورة منفرة تأباها الفطرة السوية، وتمجها العقول المستقيمة، حيث يعلن المصطفى ﷺ رفضه الصريح له إذ يقول: "**لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ**" مؤثرًا التعبير بالنهي الصريح المقتضي الجزم والقطع، مشيرًا بذلك إلى ثبات موقفه، وأن حكمه بشأن ذلك لا يتغير، ومن جانب آخر يشعر بنفوره من مثل ذلك.

ومبالغة في التنفير أتى التعبير بقوله: "**جَوْرٍ**" المقتضي الميل والانحراف(٢)، وهذا عكس ما تقتضيه الفطرة محاولة لتصحيح المسار، وكشف الغشاوة التي غطته، ناسب ذلك بناء اللفظ على التنكير ليفيد التهويل(٣)؛ ومن ثم يعظم وقعه في النفوس، فتزداد نفورًا منه، وكأنه يهرب من جمل أجرب.

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١١٤.

(٢) ينظر: الصحاح مادة (ج و ر).

(٣) ينظر: الإيضاح ١٠٠.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من تنزلت عليه أفضل الرسالات، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين ثم أما بعد

فبعد هذا التطواف في رحاب البلاغة النبوية التي لا ينضب معينها، والتي عُنيت بتحديد الضوابط، ورسم الأطر التي تكفل للبنت تكريمها في كنف والدها أو من يقوم مقامه، **سابقة** بذلك التشريعات والقوانين الوضعية من قبل المؤسسات والجمعيات في مختلف أنحاء العالم، تجدر الإشارة إلى ذكر بعض النتائج التي توصلت إليها نحو:

١- اصطبغت مظاهر تكريم البنت بالتعدد، ووسمت بميسم التنوع على المستويين المعنوي والمادي؛ لضمان إحاطتها بهذا السياج منذ نعومة أظفارها - بل منذ وجودها- كتكريمها بحفظ حقها في الحياة، والإحسان إليها، وشمولها بالرحمة، والتلطف معها، والاحتفاء بها، فضلًا عن منحها حق اختيار الزوج، والمساواة بينها وبين إخوتها في العطية.

٢- اتساع أفق المصطفي ﷺ في بيان مظاهر تكريم البنت، حيث لم يكتف بالتوجيهات القولية، وإنما ضم إلى ذلك التوجيهات الفعلية بضرب أروع الأمثال في الاحتفاء بالبنت بأفعاله التي تُستحضر كأنها ماثلة أمامنا، مبالغة في التأكيد من جانب، وإضفاء سمت الشمول من جانب آخر، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في التحفيز وشحذ الهمم، إذ يكون التأثر أقوى وأدوم.

٣- عمد المصطفى ﷺ إلى التعميم في التوجيه والإرشاد؛ لينصرف الحكم إلى جميع المخاطبين في كل زمان ومكان؛ ومن ثم اطرد ورود ما يدل على العموم كالتعريف بـ **(ال)** الجنسية كما في قوله ﷺ: "**وَأَدَ الْبَنَاتِ**"، وإسناد الخطاب إلى **ضمير الجمع** كما جاء في قوله ﷺ: "**حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**"، و"**وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**"، والتعبير

بأداة **الشرط** "**من**" في قولهﷺ: " **مَن ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ...**"، والتعبير بالفعل **المبني للمجهول** نحو قولهﷺ: "**لاَ تُنْكَحُ البِكْرُ...**".

٤- استعان المصطفى ﷺ بكثير من أساليب التشويق التي كانت لها دور مؤثر في تحقيق استمالة المخاطب بجذب انتباهه، وإثارة مشاعره، وتحريك فكره، مما يدفعه دفعًا إلى التجاوب والاقتناع، نحو اعتماد أسلوب **الاستفهام**، وأسلوب **النداء**، وأسلوب **الشرط**، وغير ذلك.

٥- اقتضي مقام التوجيه والتشريع كثرة بناء النظم على الأسلوب الخبري؛ لإبراز المقصود في صورة الثابت المحقق، ومن ثم يتقرر ويرسخ في الأذهان، عضد ذلك كثرة الاستعمال الحقيقي للألفاظ والأساليب؛ إذ لا مجال للخيال، كما اقتضى وضوح وسهولة الألفاظ والتراكيب.

٦- واضح وضوح الشمس في كبد السماء **التأثر** الشديد في المعجم اللفظي لنظم المصطفى ﷺ بالمعجم اللفظي للنظم المعجز، ولا عجب في ذلك فهما يخرجان من مشكاة واحدة، وقد اطرد ورود ذلك نحو ما جاء في قولهﷺ: "**وَأَدَ البَنَاتِ**" متأثرًا بقوله تعالى: "**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**" سورة **التكوير** (٨)، وقولهﷺ: "**لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ...**" متأثر بقوله تعالى: "**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ" سورة النور** (٣٢)، وقولهﷺ: "**وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ**" متأثر بقوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**" **سورة النحل** (٩٠)، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في الحث والتحفيز.

٧- كان من أجل الغايات التي رام المصطفى تحقيقها تأسيس تلك المظاهر، وترسيخها في النفوس؛ ومن ثم استعان بالألفاظ المصورة التي برزت بصورة واضحة ترسم بظلالها المشهد، وتصوره تصويرًا دقيقًا كأنه ماثل أمامنا نتلمسه بحواسنا، فتتراءى الحركات، ونسمع دقات وقعها بآذاننا، فيدوم وقعها في النفوس في كل زمان ومكان، نحو قوله: "**وأد البنات**"، وقوله: " **كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ**"، وقوله: "**فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ**"، وقوله: " **فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ**"، **وقوله: " ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ**"، وغير ذلك.

## التوصيات

**توصي** الدراسة بتتبع الضوابط النبوية في معالجة القضايا المجتمعية عامـــة، وقضايا الأسرة خاصة، واستجلاء ما تحويه من درر بلاغية، ولطائف بيانية.

كما **توصي** بدراسة موازنة بين الوحيين في معالجة مثـــل تلـــك القضـــايا؛ لاستجلاء عرى التناسب بين النظمين.

## ثبت المصادر والمراجع

**أولًا** : القرآن الكريم جل من أنزله.

**ثانياً** : **المطبوعات**


الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

الإتيان والمجي فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، ط السابعة ١٣٢٣هـ.

أساس البلاغة، الزمخشري، ت محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٩٩٨م.

أسد الغابة، ابن الأثير، دار الفكر بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٩٨٥م.

الإيضاح وبهامشه بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب القاهرة، ط السابعة عشرة ٢٠٠٥م.

البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الإتيوبي، دار ابن الجوزي، ط الأولى، (١٤٢٦:١٤٣٦هـ).

البدر التمام شرح بلوغ المرام، المغربي، ت علي بن عبد الله الزين، دار هجر، ط الأولى ١٩٩٤م.

البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ط الأولى ١٩٥٧م .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ت محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ط الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، بدون.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ٢٠٠٣م

التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس،١٩٨٤م.

تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، ابن المبرد الحنبلي، دار النوادر سورية، ط الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي النصر، ت زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة القاهرة، ط الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ت أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز المملكة العربية السعودية، ط الثالثة ١٤١٩هـ.

التفسير الكبير، الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

تكريم الإسلام للمرأة، عبد الرازق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

تكريم المرأة في الإسلام، محمد بن جميل زينو، دار القاسم بدون.

تهذيب اللغة، الأزهري، ت محمد عوض، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ٢٠٠١م.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ت بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط السادسة ٢٠٠٦م.

خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط الثالثة ١٩٩٢م.

دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط الرابعة ٢٠٠٨م.

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، البكري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

سنن أبي داود، ت محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية صيدا، بدون.

السنن الكبرى، البيهقي، ت محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٩٨٥م.

شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل المصري، ت محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، ط العشرون ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ت عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي، هجر للطباعة والنشر ط الأولى ١٩٩٠م.

شرح التسهيل، ناظر الجيش، ت علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ.

شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني، ت أبو المنذر خالد المصري، مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤٢٠/ ١٩٩٩م.

شرح سنن أبي داود، ابن رسلان، ت عدد من الباحثين بدار الفلاح، دار الفلاح الفيوم مصر، ط الأولى ٢٠١٦م.

شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي ،ت محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

شرح مشكل الآثار، الطحاوي، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ت أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط الرابعة ١٩٨٧م.

صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون.

الطبقات الكبرى، ابن سعد، ت محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

الطراز لأسرار وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، المكتبة العصرية بيروت، ط الأولى ١٤٣٣هـ.

علل النحو، ابن الوراق، ت محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار القاهرة، ط الثانية ٢٠٠٨م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني، الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، ط الثانية بدون.

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة والنشر والتوزيع القاهرة بدون.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين الجوزي، ت علي حسين البواب، دار الوطن الرياض بدون.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أبو البقاء الحنفي، ت عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت بدون.

الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني، ت أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الهرري الشافعي، دار المنهاج، ودار طوق النجاة، ط الأولى١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين العسقلاني، ت لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر سوريا، ط الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

اللباب في علل الإعراب والبناء، أبو البقاء العكبري، ت عبد الإله النبهان، دار الفكر دمشق، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

لسان العرب، ابن منظور، ت دار صادر بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة ط السادسة ٢٠١٠م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ت أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة بدون.

المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

مختار الصحاح، الرازي، ت يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت، ط الخامسة ١٩٩٩م.

المخصص، ابن سيده، ت خليل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٩٩٩م.

المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط العاشرة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، محمد بن ناصر العريني، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

مسند ابن أبي شيبة، ت كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، ط الأولى ١٩٩٥م.

المعجم الكبير، الطبراني، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ط الثانية بدون.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.

المغني، ابن قدامة، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري، ت لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر الكويت، ط الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية ١٩٨٧م.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، مكتبة لبنان ط الأولى ١٩٩٦م.

منحة الباري بشرح صحيح البخاري، ابن زكريا الأنصاري، ت سلمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض، ط الأولى ٢٠٠٥م.

من صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد بن إبراهيم، ١٤٢٥هـ.

WWW.Toislam.Net

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة بدون.

النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، ابن بطال، ت مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

**ثالثاً: المجلات العلمية**

١- البنت من الإهانة إلى التكريم في ضوء الإسلام، منيرة بنت عبد العزيز بن علي السعوي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد السابع العدد ٣١.

٢- من صور تكريم الإسلام للمرأة دراسة موضوعية، غادة محمد حسانين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان، العدد الرابع ٢٠٢١م.

تم بحمد الله

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | المُلخص . | ١١٩٥ |
| ٢- | Abstract | ١١٩٧ |
| ٣- | المقدمة | ١١٩٩ |
| ٤- | التمهيد | ١٢٠٤ |
| ٥- | المحور الأول: ضابط التكريم لغة واصطلاحاً، ومظاهره. | ١٢٠٤ |
| ٦- | المحور الثاني: قدرة المبين على تحقيق التناسب بين المعاني والمباني. | ١٢٠٥ |
| ٧- | المحور الثالث: إطلالة على الإمام البخاري، ومؤلفه. | ١٢٠٧ |
| ٨- | المبحث الأول: أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بإثبات حقها في الحياة. | ١٢٠٨ |
| ٩- | المبحث الثاني: أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالإحسان إليها . | ١٢١٦ |
| ١٠- | المبحث الثالث: أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالرحمة والتلطف والاحتفاء. | ١٢٢٧ |
| ١١- | المبحث الرابع: أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بمنحها حق اختيار الزوج. | ١٢٥١ |
| ١٢- | المبحث الخامس: أثر البلاغة النبوية في تكريم البنت بالعدل بينها وبين إخوتها في العطية. | ١٢٥٩ |
| ١٣- | الخاتمـــــة: | ١٢٦٧ |
| ١٤- | ثبت المصادر والمراجع. | ١٢٧٠ |
| ١٥- | فهرس الموضوعات | ١٢٧٧ |